712

روايات عبير

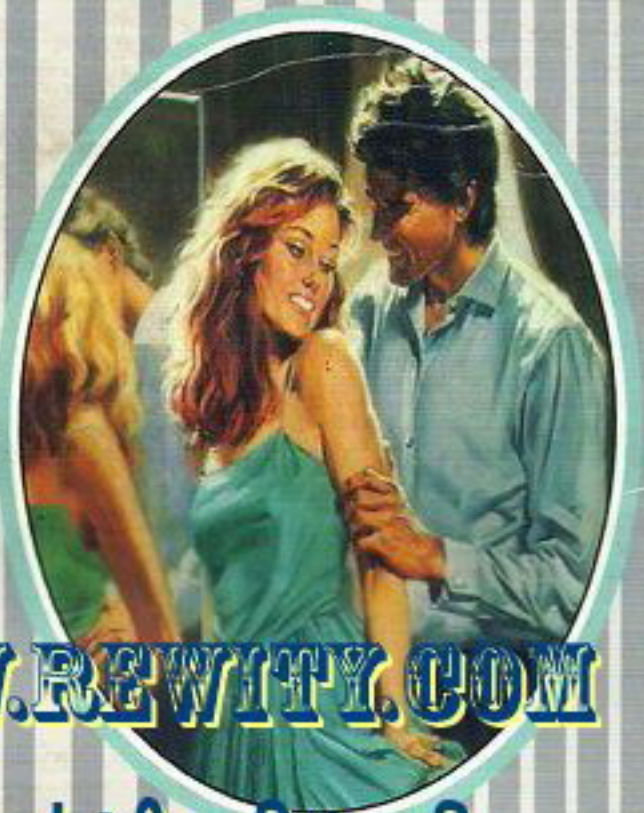

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Catherine McCarthy

مَعْبودُ النِّساء

الأصليّة

روايات عبير

«مَعْبودُ النِّساء»

كانتْ «سامانتا» فتاة نشيطة، وكانت تعمل سكرتيرة في إحدى المدارس.

كان مدير المدرسة «إدوارد» يثقُ بها إلى حدٍّ كبير، لذلك ترك لها مسؤولية المدرسة عندما انتقل إلى المستشفى لإجراء عملية.

لكن... على الرغم من قوة هذه المرأة ومدى سيْطرتها على مشاعرها، إلا أنها تقع في حبِّ «آدم» المدير المنتدب للمدرسة في خلال فترة إجراء «إدوارد» لعمليته.

كان «آدم» يتمتع بكثير من المميّزات التي تُسحر النساء، ولكنه كان على قَدْر كبير من القسوة عليهن.

فما سرّ هذه القسوة؟ وماذا فعلت «سامانتا» معه؟

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل.
سوريا	100 ل.
الأردن	1.5 دينار
السعودية	10 ريال
الكويت	750 فلس
الإمارات	10 دراهم
البحرين	1 دينار
قطر	10 ريال
مسقط	1 ريال
مصر	6 جنيه
المغرب	30 درهم
ليبيا	5 دينار
تونس	2.5 دينار
اليمن	300 ريال

ISBN 995338047 -3
9 789953 380476

العنوان الأصلي لهذه الرواية

Beyond Compar

تأليف

Catherine McCarthy

الغلاف بريشة الفنان

Patrice Gordon

www.liilas.com

- 5 -

- 1 -

كانت «سامانتا» تقف على السلم، تقوم بطلاء سقف غرفة السكرتارية، الملحقة بغرفة ناظر المدرسة في مدرسة «كينغزورثي» التي تعمل سكرتيرة بها، عندما سمعت صوت جرس الباب الأمامي، وكانت المدرسة في ذلك الوقت خالية من التلاميذ والمدرّسين، فهذا هو الأسبوع الثالث من عطلة عيد «الفصح»، ووسط السكون التام الذي يخيّم على المدرسة، سمعت «سامانتا» بوضوح صوت أقدام السيدة «كمبل»، التي تعمل مشرفة بالمدرسة، وهي تعبر البهو الخشبي لتتجه إلى الباب، وتسمّرت «سامانتا» في مكانها أعلى السلم، وتملّكها شعور بالخوف. تبادر إلى ذهنها لأول وهلة، أن أحدًا يريد أن يبلغها رسالة من المستشفى الذي يعالج به العم «إدوارد»، فقد أبلغتها الممرضة أمس أنّ العملية التي أجريت له تمت بطريقة مرضية تمامًا، وأنه لا داعي للقلق، ولكنها عملية دقيقة ولا يمكن التحقق تمامًا من نتيجتها قبل بضعة أيام، وأخذت الأفكار تتوارد إلى ذهن «سامانتا» وهي في وقفتها هذه، وحاولت إقناع نفسها بأنه إذا كانت حالة العم «إدوارد» قد ساءت فعلاً، فمن البديهي أن يبلغها المستشفى عن طريق الهاتف، بدلاً من تكبّد مشقة إرسال شخص لإبلاغها بذلك، فالمستشفى يبعد كثيرًا عن المدرسة، وفكّرت ربما كان الهاتف معطلاً، فهي ليست متأكدة تمامًا أنه يعمل، لأنها لم تستخدمه منذ صباح اليوم، وظلّت «سامانتا» في تساؤلاتها، وكتمت أنفاسها في انتظار معرفة القادم، وهي تسمع صوت دقات قلبها، وسط السكون الذي يخيّم على المكان. سمعت «سامانتا» صوت الباب الأمامي يفتح، ثم صوت السيدة «كمبل»، وهي تتحدث مع شخص ما، ثمّ تنفست «سامانتا» الصعداء وهي تسمع صوت أقدام تصعد الدرج بسرعة، وصوت

أختها «ليزا» تنادي:

– «سامانتا»، «سام» أين أنت؟ وتنهّدت «سامانتا» بعمق وأجابت في صوت خفيض أنهكه القلق وطول الترقّب:

– أنا هنا في المكتب يا «ليزا». وفتح الباب ووقفت «ليزا» تنظر إلى الغرفة، وقد بدت في حالة شديدة من الفوضى، وغطيت أرضيتها بالورق؛ لحمايتها من بقع الطلاء الذي تملأ رائحته الغرفة، فظهر على وجه «ليزا» الاستياء وهي تقول لأختها:

– «سام»، ماذا تفعلين؟ وما كل هذه الفوضى الفظيعة التي تملأ المكان؟ ونظرت إليها «سامانتا» من مكانها أعلى السلم وأجابتها ضاحكة:

– إنني أحاول أن أكون حذرة وأنا أقوم بعملية الطلاء، ولكنّك تعرفين أنه لا يمكن طلاء سقف الغرفة دون بعض الفوضى. فسألتها «ليزا»:

– لكن... لماذا تقومين أنت بهذا العمل، ألم يكن بمقدورك الاستعانة بأحد الأشخاص للقيام بذلك؟ وابتسمت «سامانتا» وهي تنظر إلى أختها الصغرى، التي ترتدي ثيابًا فاخرة، وقد أمسكت بيدها حقيبة وقفازًا من الجلد الطبيعي الفاخر، وشعرها الأشقر الطويل منسدل على كتفيها، وفكرت «سامانتا» وهي تنظر إلى «ليزا» في أنه كان من حسن حظ أختها فعلاً أن تتزوج رجلاً غنيًّا، وردّت «سامانتا» قائلة:

– أنتِ تعرفين أنه من الصعب الاستعانة بأحد على الفور، وخطرت لي فكرة طلاء الغرفة فجأة. ولم تقل «سامانتا» لأختها إنها تعمدت القيام بهذه العملية في هذا الوقت بالذات؛ لرغبتها في قتل الوقت، والتغلّب على القلق الذي تشعر به في أثناء إجراء العملية الجراحية للعم «إدوارد»، وتقدّمت «ليزا» إلى داخل الحجرة وهي تقول:

– والآن يا «سام»، أرجوك أن تنزلي وتستعدّي للذهاب معي، فقد حضرت

لأصطحبك اليوم إلى منزلي، ويمكننا تناول الغداء في «وريتش» في طريقنا إلى المنزل، كم يلزمك من الوقت لتتخلّصي من هذه الثياب المضحكة.

– أحتجّ على ذلك، فهذا أحسن ثوب عندي. أجابت «سامانتا» ضاحكة. ثم أضافت «سامانتا» قائلة:

– ولكنني أعتقد أنني لن أتمكن من الذهاب معكِ يا «ليزا». واتسعت عينا «ليزا»، واكتسى وجهها الجميل بالتعبير الذي طالما لازمها منذ كانت طفلة صغيرة، عندما كانت لا تجاب إلى شيء تطلبه، وقالت محاولة التأثير في أختها:

– لكن يا «سام» يا عزيزتي، لابد من أن تحضري معي، فإنّ الملل سيقتلني إذا بقيت وحدي طوال اليوم، فقد سافرت عائلة «دروانت» إلى «نيويورك»، وسافرت «بوبي كرمين» مع «بيل»؛ لحضور أحد الاجتماعات في «أمستردام»، و «فاغن» كما تعرفين في «باريس» الآن، وكم كنت أودّ اللحاق بها، ولكنني أخشى أن أفعل ذلك دون علم «روبرت» فأنت تعرفين أنه سيثور لو فعلت ذلك دون إذنه. فقالت «سامانتا» وقد شرد ذهنها قليلاً:

– لقد تزوجتِ رجلاً بمعنى الكلمة يا «ليزا»، وأنت تعرفين ذلك. وودّت «سامانتا» لو أن «ليزا» سألتها عن العم «إدوارد»، ولكنّها لم تسأل، ربما نسيت تمامًا أنه أجرى عملية جراحية، فهو لم يكن بالنسبة إليها سوى صديق قديم لوالدها، لا تربطها به عاطفة أو عرفان بالجميل؛ كما هو الحال مع «سامانتا»، وكان ذهن «ليزا» مشغولاً بأمور أخرى، وقالت وهي تتنهد بعمق:

– أنت تعرفين يا «سام» أنني أحب هذا الطراز العاطفي المتسلّط من الرجال، فأنا لست مثلك يا «سام». ونظرت إليها «سامانتا» متسائلة:

– حقًّا، لكن ماذا تعنين بذلك؟ وتلعثمت «ليزا» وهي تقول:

– لا تحملي كلامي أكثر مما يعني، أنا لا أعني أنك غير جذابة، ولكنك لست عاطفية، أليس كذلك يا «سام»؟ كنت ترددين دائمًا أنك لن تسمحي لأي رجل بأن يسيطر عليك، أو يثير عواطفك، وأنت تعرفين أن هذا الطراز من الرجال هو الذي يتمتع بالرجولة الحقة، وأنت تعرفين ما أعني.

وردّت «سامانتا» وهي تبتسم قائلة:

– أعتقد أنني أعرف ما تعنين. ومرّت «ليزا» على شعرها الناعم بيدها، في حركة تدل على الرضا التام عن نفسها، وهي تقول:

– أنا أعترف أنّ «روبرت» يسبب لي مشاكل في كثير من الأحيان؛ بسبب تسلّطه وغيرته عليّ، ولكن هذا شأن الطراز العاطفي من الرجال، ولكنّك يا «سام»، لن تضطري إلى مواجهة مثل هذه المشاكل، في حالة زواجك بـ «ريتشارد». ونزلت «سامانتا» من فوق السلم، وأخذت تنفض عن نفسها آثار الطلاء، وهي تقول:

– ربما كنت على حق فيما تقولين يا «ليزا». ولم تزد «سامانتا» على ذلك، فهي لم ترغب الخوض مع «ليزا» في مثل هذا الحديث، أو الاستماع إليها وهي تتحدّث عن طريقة زوجها في إظهار حبه لها، فلم تكن تعجبها طريقة أختها في الحديث عن زوجها، وعن أسرارهما العاطفية، وكانت تشعر داخليًّا بالنفور من مثل هذه الأمور، وفكّرت لو أنها متزوجة، فلم يكن من الممكن لها أبدًا، أن تناقش أموره مع أي شخص، وخاصة بالنسبة إلى مدى براعته في أمور الحب، ولكنها على أية حال لو تزوجت «ريتشارد»، فلن يكون هناك شيء مثير يمكنها التحدّث عنه، فإن «ريتشارد بارنز»؛ لم يكن من الطراز العاطفي من الرجال، القادر على إظهار عواطفه، ولكنها هي أيضًا لم تكن عاطفية، إنها لا تدري حقًّا ما إذا كانت عاطفية أم لا،

ولكن الشيء الوحيد المؤكد، هو أنها لم تعثر بعد على الرجل الذي يمكنه إيقاظ عواطفها، وانتبهت «سامانتا» من أفكارها، واتجهت إلى باب الغرفة فجأة وهي تقول:

– سأعدّ لنا بعض القهوة. ثم توقفت قليلاً وأضافت:

– على فكرة، لقد أجريت العملية بنجاح للعم «إدوارد»، ووقفت «ليزا» في منتصف الغرفة، ورفعت يدها لتضعها فوق جبهتها، وبدا وكأنها تذكرت فجأة شيئًا مهمًّا وقالت:

– يا إلهي، نسيتُ تمامًا كل شيء بخصوص هذا الموضوع، لقد شغلني تمامًا الإعداد لسفر «روبرت» إلى «مانشستر»، حتى أنني نسيت كل شيء عن العم «إدوارد»، كيف حاله الآن، إنه بخير أليس كذلك؟ أرجو ذلك يا «سام»، لأنني أعرف مدى تعلقك به، أنا أيضًا أحب الرجل العجوز، ولكن كل ما في الأمر أنني لا أراه كثيرًا منذ زواجي بـ «روبرت». وأضافت «ليزا» تسأل وهما تعبران البهو:

– هل سيعود العم «إدوارد» إلى المدرسة مع بدء الفترة الدراسية القادمة؟

– لا، أخشى أنه لن يتمكن من ذلك. وساد الصمت بينهما لفترة. كانت «ليزا» من الطراز الرقيق من الأشخاص، الذي لا يحب تحمّل المسؤولية، أو الخوض في حديث من المشاكل، أو الموضوعات الجادّة، وكان الجميع منذ صغرها، يحاولون تجنيبها التعرّض لأية مشاكل أو صدمات. نظرت «سامانتا» إلى أختها وقالت:

– كانت العملية خطيرة للغاية، وسيلزمه وقت طويل قبل التماثل للشفاء تمامًا، والعودة إلى العمل. ثم أضافت وقد بدت في عينيها نظرة قلق:

– إذا كان سيقدّر له العودة إلى العمل فعلاً. وبدا على «ليزا» أنها تود عدم الاستطراد في هذا الحديث، فقالت بصبر نافد:

– لا تقلقي يا «سام»، فإن العم «إدوارد» سيكون بخير، وسيمكنه العودة إلى عمله، فالطب قد تقدّم كثيرًا هذه الأيام. فردت «سامانتا» بلهجة يشوبها الحزن:

– هذا ما كنّا نردده دائمًا بالنسبة إلى والدنا، أليس كذلك يا «ليزا»؟ ولكن ماذا حدث؟ واكتسى وجه «ليزا» الجميل بالحزن، وامتلأت عيناها بالدموع وهي تقول:

– لماذا تقولين ذلك الآن يا «سام»؟ أنت تعرفين أن ذلك يسبب لي الحزن، فأنا لا يمكنني أن أفكر في أنّ أبي... وانحدرت الدموع من عينيها الجميلتين، فأخرجت منديلاً من حقيبتها، وأخذت تمسح عينيها، فقالت «سامانتا» في محاولة لتهدئتها:

– أنا آسفة يا «ليزا»، لقد نسيت أن الحديث في هذا الموضوع يحزنك، والآن تعالي معي إلى المطبخ لنعدّ بعض القهوة. قالت «سامانتا» ذلك، وهي تدفع باب المطبخ الذي لم يكن به أحد في ذلك الوقت، فقد كانت السيدة «كمبل» مشغولة ببعض الأعمال في الطابق العلوي، وبعد أن انتهت «سامانتا» من إعداد القهوة، ملأت ثلاثة أقداح، أخذت أحدها واتجهت به إلى الطابق العلوي وهي تقول:

– سأحمل هذا القدح للسيدة «كمبل»، فهي من الطراز الذي يتفانى في عمله، ولن تفكر أبدًا في التوقف ولو قليلاً لإعداد فنجان من الشاي أو القهوة لنفسها. وتوجهت «سامانتا» إلى حيث توجد السيدة «كمبل» في الطابق العلوي التي تقوم بتنظيف إحدى الغرف بالمكنسة الكهربائية، وكانت السيدة «كمبل» سيدة ريفية قوية البنية، من الطراز الذي لا يحب أن يضيّع الوقت في الحديث، وعندما قدمت إليها «سامانتا» فنجان القهوة، علت وجهها ابتسامة من ابتساماتها النادرة وهي تقول:

– شكرًا يا آنسة «غولد»، أرجوك أن تتركي الفنجان فوق الطاولة. قالت السيدة «كمبل» ذلك، ثم استغرقت في عملها من جديد، وعندما عادت «سامانتا» إلى المطبخ، كانت «ليزا» تجلس إلى الطاولة الخشبية الكبيرة التي تتوسطه، وقد عادت إلى طبيعتها المرحة من جديد، وعندما جلست «سامانتا» نظرت إليها وهي تقول:

– إنني آسفة حقًا يا «سام»؛ لأنني نسيت كل شيء عن العم «إدوارد»، وأرجو ألاّ تعتقدي أنني لا أهتم به.

– بالطبع يا «ليزا». ونظرت «سامانتا» إلى أختها وهي تبتسم، كان من الصعب على أيّ شخص أن يغضب من «ليزا» لفترة طويلة، ثم سألت «ليزا»:

– لكن ماذا ستفعلين دونه يا «سام»؟ فلوت «سامانتا» شفتيها وهي تقول:

– لا أدري، إنها مشكلة فعلاً، فالمدرسة لا يمكن أن تمضي دونه، ولو كان «ريتشارد» موجودًا هنا لاختلف الأمر، وربما أمكننا المضي في العمل حتى يتماثل العم «إدوارد» للشفاء، ولكن العم «إدوارد» يرفض تمامًا أن نبلغ ابنه بأمر مرضه أو الجراحة التي أجريت له، وقد أخذ منّي وعدًا بذلك؛ لأنه يعرف مدى اهتمام «ريتشارد» بعمله في «أمريكا الجنوبية»، ومدى أهمية وجوده مع الأستاذ «هايز»، فهو يعتقد أن مثل هذه الفرصة قد لا تتاح له بعد ذلك. وظهر عدم الاقتناع على وجه «ليزا» وهي تقول:

– إن المسألة تبدو فظيعة بالنسبة إليّ، ولا أدرى ما أهمية البحث طوال النهار في أماكن ما قبل التاريخ، والكهوف القديمة والمقابر، إنه شيء فظيع حقًا. وردّت «سامانتا» وهي تضع بعض الفطائر أمام «ليزا» على الطاولة:

– إن الأمر لا يبدو كذلك بالنسبة إلى «ريتشارد»، فهو مهتم جدًا بعلم

الحفريات، ولو أنه لم يتوصّل حتى الآن إلى شيء يذكر.

– على أية حال أعتقد أنه آن الآوان ليعود إلى المدرسة، ليتولي العمل بدلاً من والده حتى يتماثل للشفاء، هذا هو الحل الوحيد.

– ربما، لكن لا يمكنه العودة الآن، فإن العم «إدوارد» يعتقد أن «ريتشارد» لن يتمكن من تحقيق آماله لو أنه تخلي عن عمله مع الأستاذ «هايز»، ليعمل بالتدريس، وهو يريد أن يحقّق «ريتشارد» كل ما يريده قبل العودة إلى المدرسة، حيث سيكون من الصعب عليه عمل شيء آخر، فأنت تعرفين أن مهنة التدريس تستغرق كل الوقت، والعم «إدوارد» يريد أن يفعل «ريتشارد» كل ما يحلو له بوقته وهو مازال شابًا. وضحكت «ليزا» بخبث وهي تقول:

– أعتقد أنني أعرف طرقًا أفضل من ذلك، يمضي بها أي شاب وقته. ثم نظرت إلى أختها بطرف عينيها وهي تقول:

– أنا آسفة يا «سام»، ما كان يجب أن أقول ذلك، ولكن «ريتشارد بارنز» شاب رزين للغاية، أليس كذلك؟ على أية حال، ماذا ستفعلين بالنسبة إلى الفترة الدراسية القادمة؟ وبدا القلق على وجه «سامانتا» وهي تجيب:

– لا أدري حقًا يا «ليزا»، إنها تبدو مشكلة كبيرة، ليس من السهل في الظروف العادية الحصول على الشخص المناسب؛ ليشغل منصب المدير، فما بالك الآن وقد أوشك العام الدراسي على الانتصاف، إن العثور على مثل هذا الشخص الآن يبدو مستحيلاً، وخاصة يجب أن يكون شخصًا على مستوى المسؤولية، فإن عددًا من التلاميذ يعدّون الآن للدراسات العليا، على أية حال، سيحضر أحد الأشخاص في هذا المساء، وسيكون عليّ أنا مقابلته، والتحدّث معه عن أمور المدرسة. ثم ابتسمت «سامانتا» في نوع من السخرية وهي تضيف:

– إنه وضع غريب حقًا أن أقوم أنا سكرتيرة المدرسة بهذه المهمة، مع الشخص الذي من المفروض أن يكون المدير الجديد، لكن لابدّ من قيامي بهذه المهمة من أجل العم «إدوارد». وبدا الاهتمام على وجه «ليزا» وهي تسأل:

– ومن هو هذا الرجل، هل تعرفينه يا «سام»؟

– لا، لم أره من قبل، ولكنني سمعت العم «إدوارد» يتحدث عنه كثيرًا من قبل، وعرفت منه أنه كان طالبًا حين كان العم «إدوارد» يلقي محاضراته في الجامعة، منذ بضع سنوات، واستمرّت الاتصالات بينهما منذ ذلك الوقت، لكن يبدو أنه سيتسلّم منصبًا في إحدى المدارس الكبرى في شهر أيلول(سبتمبر)القادم، لكن ليس لديه أي ارتباط في الوقت الحاضر، وهو يقيم في «فرنسا»، اتصل به العم «إدوارد» هاتفيًا قبل توجّهه إلى المستشفى لإجراء الجراحة، ووافق على الحضور إلى المدرسة هذا المساء، وأتمنى حضوره فعلاً. وسألت «ليزا»، وهي تنحني فوق الطاولة لتأخذ بعض الفطائر:

– وما اسم هذا الشخص؟

– «رويل»، «آدم رويل». أجابت «سامانتا» وهي ترفع فنجان القهوة إلى فمها، ولكنها أنزلته بسرعة بعد أن لاحظت التغيّر الشديد الذي طرأ على «ليزا»، وقد امتقع وجهها بصورة واضحة عند ذكر اسم «آدم رويل» وتساءلت «سامانتا» في جزع:

– ماذا حدث يا «ليزا»، هل تعرفين شيئًا عن هذا الشخص المدعو «آدم رويل»؟ وازداد وجه «ليزا» امتقاعًا ثم علاه شحوب شديد وهي تقول:

– نعم، أعرف عنه الكثير، وما أعرفه لن يسرك أبدًا. ثم فجأة اندفعت تقول لأختها:

www.rewity.com

– لا يمكنك يا «سام» أن تسمحي لمثل هذا الشخص الفظيع، بالحضور إلى هنا للعمل في المدرسة، أعتقد أنه يجب عليك أن تبحثي عن شخص آخر.

وتمالكت «سامانتا» نفسها وردّت بهدوء:

– لكن يا «ليزا»، أليس من الأفضل أن تهدئي قليلاً وتوضحي لي الأمر، أين قابلتِ «آدم رويل»؟ وبدت «ليزا» وكأنها تجاهد لاستعادة هدوئها، ونجحت في ذلك، فقد ردّت في صوت بدا هادئًا وطبيعيًا:

– كان ذلك منذ زمن بعيد، لا تهتمي بما قلت يا «سام». ثم أفاقت بعد أن أخذت رشفة من فنجان القهوة، واستطردت قائلة:

– أرجوك يا «سام»، انسي كل شيء عن هذا الموضوع، كل ما في الأمر أنه كان مفاجأة لي، أن أسمع اسم «آدم رويل» يذكر أمامي بعد كل هذه المدة.

ولكن «سامانتا» ألحّت على معرفة المزيد، وقالت:

– لكن يا «ليزا»، أرجوكِ حدّثيني بكل ما تعرفين عن هذا الشخص، تعرفين أنني سأعمل معه طوال الفترة الدراسية القادمة، ويهمني معرفة المزيد عنه، ولن أشعر بالراحة أبدًا حتى توضحي لي الأمر، لأنني سأظل أتساءل عمّا فعل «آدم رويل». نظرت «سامانتا» إلى أختها عبر الطاولة، في انتظار المزيد من التفصيلات. كانت «ليزا» تصغر «سامانتا» بحوالي عام واحد، والشبه كبير بينهما حتى يصعب أحيانًا على أيّ شخص غريب أن يفرّق بينهما، كانتا متشابهتين في لون الشعر الأصفر، ولو أن لون شعر «ليزا» كان أفتح قليلاً، ومتشابهتين أيضًا في لون العيون الأزرق، وعلى الرغم من ذلك، كان واضحًا أنّ «ليزا» تتمتع بقدر أكبر من الجمال، و «سامانتا» تدرك ذلك جيدًا، ولكنها كانت تحب «ليزا» حبًّا ناضجًا متسامحًا، لا يتناسب مع فتاة في سن الرابعة والعشرين، وربما كان ذلك يعود إلى أن والدتهما توفيت عقب ولادة «ليزا» مباشرة، مما جعل

«سامانتا» تشعر بمسؤوليتها تجاه أختها بوصفها الأخت الكبرى، وقالت «سامانتا» وهي تحاول استدراج أختها للحديث:

– والآن يا «ليزا»، أخبريني بما تعرفين عن أمر «آدم رويل»

– أنت دائمًا تحصلين على ما تريدين يا «سام». وأشارت «ليزا» بيدها بطريقة يائسة، واستطردت تقول:

– إن هذه المسألة لا تخصّني أنا بصفة شخصية، ولهذا لم أكن أودّ أن أحدثك عنها، ولكنني أمام إلحاحك أجد نفسي مضطرّة إلى الحديث.

واستطردت «ليزا» قائلة:

– لقد حدث ذلك في خلال الصيف الذي سبق زواجي بـ «روبرت»، عندما كنت أنت في «لندن» تتلقين تدريبك على أعمال السكرتارية، في ذلك الوقت أقام العم «إدوارد» والعمة «بيتي» مباراة للتنس في المدرسة في خلال العطلة الصيفية، وطلبا منّي إحضار إحدى الصديقات معي؛ ليكمل العدد اللازم، وبالفعل اصطحبت معي إحدى الصديقات، وأفضّل ألاّ أذكر اسمها، فأنتِ لا تعرفينها، وكانت هذه الصديقة تقيم مع بعض أقاربها في البلدة هنا، وفي خلال العطلة نشأت بيننا صداقة، وبعد انتهاء العطلة عادت إلى بلدتها، التي أعتقد أنها كانت «دورسيت»، في ذلك الوقت تصادف وجود «آدم رويل» في البلدة، وكان العم «إدوارد» قد دعاه للحضور إلى المدرسة، وحاول «آدم» في خلال فترة وجوده بالبلدة بكل الوسائل، إيقاع صديقتي في حبائله، وقد نجح في ذلك بالفعل، وتعلقت به صديقتي إلى درجة الجنون، وكانا يُشاهدان معًا دائمًا في الصباح وفي المساء وربما... لست أدري... واستمرّ الحال بينهما لعدّة أسابيع، ثم فجأة ودون أية مقدمات تخلّى «آدم» عن الفتاة، وغادر البلدة وتركها بعد أن تحطم قلبها، هكذا بكل بساطة. وأخذت «ليزا» تعبث بالفنجان الموضوع أمامها على

www.rewity.com

الطاولة، وبدا كأنها انتهت من قصتها عند هذا الحد فقالت «سامانتا»:

– هل هذا هو كل شيء يا «ليزا»؟ إنها قصة عادية للغاية، تحدث كل يوم، ومع أية فتاة، وعلى أية حال، لايمكن أن تصدري حكمًا على هذا الشخص، ما لم تكوني على علم تام بجميع الظروف التي أحاطت بهذه القصة.

– ليس هذا صحيحًا، فأنا يمكنني أن أصدر مثل هذا الحكم، فقد عاصرت هذه القصة بجميع ظروفها كما أخبرتك من قبل. ثم استطردت بطريقة أكثر انفعالا:

– إنني أعرف طرقًا كثيرة لإنهاء أية علاقة بين رجل وفتاة،لكن ليس بهذه الطريقة الوحشية، التي تنطوي على منتهى القسوة. واهتزّ صوت «ليزا» وهي تقول الجملة الأخيرة، وبدا الانفعال واضحًا على وجهها، فنظرت إليها «سامانتا» بفضول قائلة:

– أشعر بأن هناك شيئًا غريبًا في هذه القصة، ماذا حدث يا «ليزا»؟ يبدو لي أنك تعرفين عن هذا الأمر أكثر مما تظهرين، هل حدث أي تورط من جانبك في هذه المسألة؟ أرجوك أريد أن أعرف كل شيء. وظهر الحزن على وجه «ليزا» وقالت:

– أنتِ يا «سام» لا يفوتك شيئًا على الإطلاق، فعلاً حدث ذلك إلى حدٍّ ما، فقد كانت صديقتي بعد أن تخلّى عنها «آدم» في حالة يرثى لها، وخشيت أن ترتكب عملاً أحمق، وهي في هذه الحالة من اليأس والحزن، أنت تعرفين ما أعني.

– هل كنت تخشين أن تنتحر مثلاً؟ فضحكت «ليزا» بطريقة غريبة وهي تقول:

– أوه يا «سام» لماذا تصرّين دائمًا على التحدّث عن مثل هذه الأمور

ببرود؟

– كل ما في الأمر أنني أُفَضّل ألاّ أغلّف الكلمات المقزّزة، في غلاف من الكلمات الرقيقة، أرجوك أن تستمري في حديثك. واستطردت «ليزا» تقول:

– حسنًا، لقد شعرت بالخوف فعلاً على صديقتي، ورجتني أن أذهب إليه، لأحاول أن أعيد المياه إلى مجاريها بينهما. فنظرت «سامانتا» إليها في ذهول وهي تقول:

– أنتِ فعلتِ ذلك يا «ليزا»، وهل ذهبتِ إليه بالفعل؟

– نعم، ذهبت إليه، كان غباء منّي أن أفعل ذلك، أو أقبل التدخل في مثل هذه المسألة. وارتعش صوتها وبدا عليها الاضطراب الشديد وهي تستطرد قائلة:

– لم يكن هناك ما يدعو أبدًا لأن يعاملني «آدم رويل» مثل هذه المعاملة الفظيعة، فقد حاولت أن أصلح بينه وبين صديقتي. وسكنت قليلًا قبل أن تقول في انفعال واضح:

– لا يمكنك أبدًا يا «سام»، أن تتخيّلي الأشياء الفظيعة التي قالها لي. ونظرت «سامانتا» إلى أختها التي ارتعش فمها وهي تقول الجملة الأخيرة، وقالت:

– أعتقد أنني أعرف، ويمكنني أن أتصوّر تمامًا ما حدث بينكما، لقد سعيت أنت إلى ذلك، كان الأجدر ألاّ تذهبي إليه، المهم في الأمر ماذا حدث بعد ذلك؟

– رحل بعد ذلك عن البلدة فورًا. علمت ذلك من العم «إدوارد».

– وهل عرف العم «إدوارد» بهذا الأمر؟ وظهر الجزع على وجه «ليزا»، وهزّت رأسها في عصبية بالنفي وهي تقول:

www.rewity.com

– لا... لا... إنني على يقين من أنه لم يعرف شيئًا عن هذا الموضوع، فأنت تعرفين العم «إدوارد»، القراءة تستغرقه وليس لديه وقت للاهتمام بمثل هذه الأمور. وسألت «سامانتا»:

– وماذا عن الفتاة؟

– عادت إلى بلدتها «دورسيت»، بعد أن أقنعتها بأنها لم تخسر شيئًا، ولكنها كانت مستاءة للغاية. وأنهت «سامانتا» شرب القهوة وهي تقول:

– على أية حال، شكرًا لك يا «ليزا»؛ لتحذيري من «آدم رويل»، ولكنني لاأرى أن هذه المسألة سيكون لها أثر بالنسبة إلى حضوره إلى هنا، وليس من المحتمل أبدًا أن يتكرر ما حدث مع صديقتك هنا في المدرسة، فإن مثل هذا الأمر لا يمكن أن يحدث مثلًا مع الآنسة «بيلي» أو «سيسيلي ترامب»، أما بالنسبة إليّ، فإنني لست من طراز الفتيات اللواتي يقدمن على الانتحار بسبب قصة حب فاشلة.

– أفهم من ذلك أنك ستسمحين له بالحضور إلى المدرسة بعد كل ما عرفت عنه؟ هل تعتقدين أنه تصرّف حكيم؟ وضحكت «سامانتا» وهي تقول:

– حقًا يا صغيرتي، إنك تُبدين اهتمامًا أكثر من اللازم بهذه المسألة، وعلى أية حال ليس لي دخل بها، فأنتِ تعرفين أن العم «إدوارد» هو الذي اختار «آدم رويل»، وطلب منه الحضور، وكل ما يهمني هو العثور على شخص مناسب؛ ليحلّ مكان العم «إدوارد»، حتى يتماثل للشفاء التام، ويبدو لي أن «آدم رويل»، مناسب تمامًا من الناحية الأكاديمية لتولي منصب المدير. ووقفت «ليزا»، وأخذت تعدل من ملابسها وهي تقول:

– حسنًا، في هذه الحالة، لن أحضر إلى المدرسة أبدًا طوال فترة وجود «آدم رويل» هنا، وأؤكد لك ذلك يا «سام». فردّت «سامانتا» في لهجة عابثة:

– سأحضر أنا لأراكِ يا «ليزا»... وسأحكي لكِ عن القلوب التي حطّمها

«آدم رويل» في المدرسة. فقالت «ليزا» وهي تهمّ بالخروج:

– حسنًا يا «سام»، يمكنك أن تسخري كما تشائين، ولكنّك سترين بنفسك أنني كنت على حق، عندما حذرتك من هذا الشخص المدعو «آدم رويل» محطم القلوب، والذي لا قلب له على الإطلاق. قالت «ليزا» ذلك، واتجهت إلى الباب وهي تقول:

– يجب عليّ الذهاب الآن، فقد يحضر «آدم رويل» في أية لحظة. وقفت «سامانتا» على الباب الأمامي للمدرسة تلوح لـ «ليزا» وهي تبتعد بسيارتها السبور البيضاء، ثم عادت وقد بدا عليها التفكير العميق، واتجهت إلى غرفة السكرتارية؛ لتستأنف من جديد عملها في طلاء السقف، وأخذت تفكّر في كل ما قالته «ليزا» عن «آدم رويل». عندما حان وقت الغداء، كانت «سامانتا» قد انتهت من عملية الطلاء، وقد بدا سقف الحجرة أبيض لامعًا. نظّمت الغرفة ثم توجهت إلى المطبخ، حيث تناولت غداءها، واتّجهت إلى غرفتها بعد ذلك، لتستعدّ لاستقبال «آدم رويل». كانت «سامانتا»، حتى قبل مجيء «ليزا»، تفكر في مسألة حضور «آدم رويل» إلى المدرسة بشيء من القلق، فلم يكن من السهل عليها أن تقبل تواجد شخص غريب في المدرسة، وإدارته لها طوال الفترة الدراسية القادمة، فهي لم تتعوّد على العمل مع أي شخص غريب، ولم يكن من السهل عليها ذلك، خاصة بعد تعاملها مع العم «إدوارد»، الذي كانت طريقته في التعامل مع الجميع، تجبرهم على احترامه وحبّه. كان إلى جانب حزمه متفهمًا تمامًا للمشاكل التي يتعرّض لها التلاميذ وهيئة التدريس، ولذلك فإنه لم يكن من السهل أبدًا على «سامانتا» تقبّل فكرة حلول شخص آخر مكان العم «إدوارد»، وخاصة إذا كان هذا الشخص شابًا. كان لابدّ للأمور من أن تمضي في المدرسة على أكمل وجه، تحت إشراف المدير المؤقت الجديد، حتى يتمّ

www.rewity.com

شفاء العم«إدوارد»، ويعود لمزاولة عمله، وأخذت«سامانتا» تفكّر في الطريقة التي يمكنها أن تمهّد للظهور المفاجيء لـ «آدم رويل» على مسرح الأحداث في المدرسة، لأن أحدًا من هيئة التدريس لم يكن يعرف شيئًا عن مرض العم «إدوارد»، فقد فَضّل ألاّ يخبرهم بأمر مرضه إلاّ بعد انتهاء الفترة الدراسية السابقة، وذهاب الجميع لقضاء عطلة عيد «الفصح»، فقد علمت في ذلك الوقت فقط أنّ العم «إدوارد» سيذهب إلى أحد الإخصائيين؛ لاستشارته في أمر مرضه، ثم توالت الأحداث بعد ذلك بسرعة، وذهب العم «إدوارد» إلى المستشفى، وكان من المقرر أن تجرى له الجراحة في عطلة الصيف، مع نهاية العام الدراسي، ولكن حالته تدهورت سريعًا، وأصبحت الجراحة أمرًا ضروريًا. شعرت «سامانتا» بالأسى، وامتلأت عيناها بالدموع وهي تتذكر وجه العم «إدوارد» المرهق، وهو يجلس في مقعده خلف المكتب، في انتظار عربة الإسعاف لنقله إلى المستشفى، وتذكرت كلماته وهو يقول لها: «أشعر بالأسف؛ لأنني أتركك وحدك تواجهين كلّ هذه المسؤولية، وكل ما أريده هو أن... «ثمّ توقّف عن الكلام، فقد فاجأته نوبة من الألم، فوضعت ذراعها حول كتفيه، ولم تستطع أن تفعل شيئًا لتخفّف عنه، سوى أن تطمئنه إلى أنّ كل شيء سيمضي على خير ما يرام في المدرسة، وكأنه موجود في انتظار عودته من المستشفى، وزادها ذلك عزمًا على الالتزام بوعدها للعم «إدوارد»، وصمّمت على أن يمضي كل شيء في المدرسة، بسهولة ونظام تحت إدارة «آدم رويل» المدير المؤقت الجديد، وأن تحاول التعاون معه بقدر الإمكان، وفكرت «سامانتا» في أن حديث «ليزا» عن «آدم رويل»، ووصفها له بأنه وحش لا قلب له، قد يكون مبالغًا فيه إلى حدٍّ كبير، ولا يوجد أي احتمال لأن يمارس «رويل» هوايته في تحطيم القلوب في هذه المدرسة. صعدت «سامانتا» إلى حجرتها لتعدل من مظهرها قبل

وصول «آدم»، لتظهر بمظهر السكرتيرة، وليس الفتاة الجميلة، فقد تعلّمت في أثناء تدريبها على أعمال السكرتارية في «لندن».أن مهمة السكرتيرة الناجحة أولاً، هي القيام بأعمالها كسكرتيرة، وليس تنفيذ الأوامر الأخرى التي يمكن لمديرها أن يحققها في الخارج، وكانت «سامانتا» مقتنعة تمامًا بهذا، لأنها تعتقد أنه من الأفضل فعلا، عدم الخلط بين العمل والمرح، وفي الساعة الثانية، كانت «سامانتا» قد انتهت من تغيير ملابسها، واستعدّت لاستقبال «آدم»، ثم اتجهت إلى مكتب العم «إدوارد»، حيث جلست على المقعد الكبير خلف المكتب، وكانت تبدو أنيقة للغاية في زيها الأزرق، الذي تحلّيه ياقة بيضاء، وانسدل شعرها الذهبي على كتفيها، وبدت رائعة الجمال، وقد انعكس الانفعال الذي تشعر به على وجنتيها، فكساهما حمرة جذّابة، لم تكن «سامانتا» لتصدّق أحدًا لو امتدح جمالها، فقد نشأت منذ صغرها، وهي تعرف أن «ليزا» هي الأخت الجميلة وليست هي، وفكّرت «سامانتا» في أنه من غير اللائق أن تستقبل المدير الجديد، وهي تجلس في كرسي العم «إدوارد»، فنهضت من مكانها، واتجهت إلى الجانب الآخر من المكتب، وبعد فترة قليلة سمعت صوت جرس الباب الأمامي، ثم سمعت عبر البهو صوت رجل يتحدّث مع السيدة «كمبل»، وفتح باب المكتب فرأت السيدة «كمبل» وهي تعلن لها قدوم «آدم رويل»، وعلى الرغم من أن «سامانتا» كانت قد أعدّت نفسها لهذا اللقاء، إلاّ أنّ قلبها أخذ يدق بعنف و «آدم رويل» يخطو إلى داخل الغرفة، كانت تدرك تمامًا أهمية هذا اللقاء، ووقفت وخطت خطوتين في اتجاه الرجل الفارع القوام الواقف أمامها، وهو يرتدي حلّة أنيقة من التويد الرمادي، ومدّت يدها وارتسمت ابتسامة مرحبة فوق شفتيها وهي تقول:

– كيف حالك يا سيد... وفجأة انهار كل ما أعدّته من قبل لهذا اللقاء،

فقد حملق إليها الرجل بذهول، كمن أصابته صاعقة، وسمعت صوته يهدر غاضبًا كالرعد وهو يقول:

– آنسة «غولد»، ماذا يدور هنا؟... وماذا تفعلين هنا بحق السماء؟ ورجعت «سامانتا» خطوة إلى الوراء من هول المفاجأة، لكنها تمكّنت بعد جهد من استعادة هدوئها، وقالت بصوت حاولت أن يكون هادئًا بقدر الإمكان:

– أعتقد أنك مخطىء يا سيدي، فإننا لم نلتقِ من قبل. ووقف الرجل يحملق إليها، وكأنه لا يصدّق عينيه، ونظرت «سامانتا» إليه بثبات. كان جذابًا لولا هذه التقطيبة التي تعلو وجهه، وهو من الطراز الذي تلفت رجولته الأنظار، وعلى الرغم من محاولتها الاحتفاظ بهدوئها، إلاّ أنها كانت تشعر بالدماء تندفع إلى وجنتيها، وفي اللحظة التي بدأت تشعر بأنه لن يمكنها الصمود أكثر من ذلك، جاءها صوته وقد هدأت نبراته وهو يقول:

– شيء غريب حقًّا، الشكل نفسه، و الاسم نفسه. واستطرد معتذرًا:

– أرجوك اغفري لي، يبدو أنني أخطأت. وقال متسائلًا:

– هل لكِ أخت توءم؟ وفكرت «سامانتا» سريعًا، لابدّ من أنه خلط بينها وبين «ليزا»، فالشبه كبير بينهما، وقد مضى على لقائه بها بضع سنوات، ولما كانت تدرك أنه ليس هناك احتمال لحضور «ليزا» إلى المدرسة ورؤية «آدم» لها، فلم تشأ إحياء هذه الذكرى المؤلمة، واكتفت بأن نفت أن لها أختًا توءمًا. وهز الرجل كتفيه، ووجهه مازال ينطق بالحيرة وقال:

– لا بأس بأن أكرّر أسفي لما حدث، فقد كنتُ وقحا للغاية. ولاح شبح ابتسامة على شفتيه. ونظرت «سامانتا» إليه، كانت عيناه سوداوين يشعّ منهما بريق أخاذ، ورموشه كثيفة، وعندما يبتسم كان يغمض عينيه بطريقة تمثيلية، وقالت «سامانتا» وهي تقدّم إليه مقعد العم «إدوارد»:

– لا عليك، هذه أشياء كثيرًا ما تحدث، تفضل بالجلوس. وجلس «آدم» أمامها، وبدا عليه أنه يريد التحدّث مباشرة في الموضوع الذي أتى من أجله وقال:

– أعتقد أنه من الأفضل أن نتحدّث فورًا في التفاصيل، أنتِ... «سامانتا غولد» سكرتيرة المدرسة.

– آه! نعم «سامانتا». ردّد الاسم وهو ساهم، ونظر إليها مرة أخرى، وكأنه يريد أن يتذكر شيئًا ثم قال:

– في الحقيقة، لا أكاد أعرف شيئًا عن المدرسة، فقد مضى زمن طويل منذ حضوري إلى هنا. قال هذا والتفت إليها سريعًا، هل مازال يظنّ أنها «ليزا»، وأنها ترفض الاعتراف بذلك؟

– كم مضى عليك في العمل هنا يا آنسة «غولد»؟ وردّت «سامانتا»:

– عملت سكرتيرة هنا لمدّة أربع سنوات، ولكنني أعيش في المدرسة منذ فترة طويلة. وبدت الحيرة على وجهه وهو يقول:

– كيف حدث أنني لم أقابلك من قبل؟ فقد استضافني السيد«بارنز» منذ أربع سنوات لمدة شهر تقريبًا.

– لا أظن ذلك، ففي هذا الوقت كنتُ في «لندن» أقضي فترة تدريب على أعمال السكرتارية. ورجع بمقعده إلى الخلف وهو يقول:

– مجرّد مصادفة غريبة؛ على أية حال؛ إن الفتاة التي خلطت بينك وبينها، لا يمكن أن تصبح سكرتيرة في مدرسة، ولا أعتقد أن لديها القدرة على ذلك. وارتاحت «سامانتا» إلى فكرة أنه لن يثير هذا الموضوع مرّة أخرى، وسألته من جديد عمّا يريد معرفته من أمور المدرسة، وسألها عن العم «إدوارد»، وظهر القلق واضحًا على وجهه وهو يستمع إليها، فأدركت على الفور مدى اهتمامه به، وبعد فترة قصيرة، التفت إليها فجأة قائلاً:

www.rewity.com

– والآن هيّا إلى العمل، أرجو أن تزوّديني بكلّ التفاصيل الممكنة عن العمل بالمدرسة. وفتحت «سامانتا» ملفًا وضعته أمامه فوق المكتب، وبعد أن تصفّح الأوراق نظر إليها قائلاً:

– أرى أنه يوجد الكثير من السيدات في هيئة التدريس ثم فاجأها بقوله:

– هل تقيمين في المدرسة؟ وشعرت «سامانتا» بحيرة تجاه هذا السؤال، وردّت بالإيجاب، وتلا ذلك فترة سكون بدا على «آدم» في خلالها أنه يفكر في شيء ما، فسألته بحذر:

– هل تعتقد يا سيد «رويل»، أنه سيكون بمقدورك الحضور للعمل في فترة الصيف؟ ورفع حاجبيه، وكأنه لا يرى مجالاً لمثل هذا السؤال، وردّ بالإيجاب، وشعرت «سامانتا» بالارتياح، فمهما كانت شخصية «آدم» فلابدّ من أنّ العم «إدوارد»، لم يكن يختاره لإدارة المدرسة، لو لم يكن مناسبًا للمنصب، وأنساها شعورها بالارتياح تحفّظها للحظة، فاندفعت تقول:

– إنني سعيدة لذلك، ستجد الجميع هنا أصدقاءك. ولم يرد «آدم» على هذا التعليق، واكتفى بالنظر من النافذة، ثم بدا عليه وكأنه قرر شيئًا، فاستدار بمقعده فجأة ليصبح في مواجهتها وقال:

– آنسة «غولد»، أتريدين أن أوضح لكِ شيئًا منذ البداية؟ وهو أنني لست اجتماعيًا، ولست على استعداد لإقامة علاقات شخصية مع أعضاء هيئة التدريس. ونظرت «سامانتا» إليه في ذهول وهي تقول:

– ما الذي يجعلك تعتقد أن أحدًا يريد أن يقيم معك علاقات شخصية؟

– إنه مجرد شيء يحدث دائمًا، وخاصة إذا كان يوجد هذا العدد من النساء، وسأكون شاكرًا لو أبلغت هذه الرغبة للجميع بطريقة لطيفة. وابتسم بطريقة معيّنة وهو يقول:

– وأنا على يقين من أنه لا تنقصك اللباقة. ونظرت إليه «سامانتا» في صمت، تساءلت عمّا يدعوه إلى هذا القول، فهو لا يبدو عليه أنه شخص غير اجتماعي، فإن نظرات عينيه والابتسامة التي تتراقص حول ركن فمه، لا تعطي هذا الانطباع أبدًا، وهزّت «سامانتا» رأسها في هدوء وهي تقول:

– ليس هذا من اختصاصي، ولكنني سأعمل على ألاّ يضايقك شيء. ويبدو أنّ «آدم» أراد أن يخفف قليلاً من موقفه السابق، فأردف قائلاً:

– في الحقيقة، إنني أقوم في الوقت الحاضر بتأليف أحد الكتب، ويجب أن أنتهي منه قبل نهاية الشهر القادم.

– إنني أقدر ذلك. ردّت «سامانتا» بطريقة مهذبة، وهي لا تدري ما إذا كان يتوقع منها أن تسأله عن هذا الكتاب، وانتظر «آدم» قليلاً، ولما لم تقل شيئًا نهض واقفًا وهو يقول:

– الآن وقد انتهينا، أكون شاكرًا لو شرحت لي كيف أذهب إلى المستشفى؟ أريد أن أقابل الطبيب؛ لأعرف منه المزيد عن حالة السيد «بارنز».

– حقًا، هل ستفعل ذلك؟ فأنا لم أتمكّن من التحدّث مع الطبيب، ولكني أعتقد أنّ الأمر سيختلف بالنسبة إليك. ونظر إليها «آدم» وهو يسأل في سخرية:

– حقًا ما تقولين؟ لكن لماذا؟ وشعرت «سامانتا» بأنه يحتويها بعينيه السوداوين، فاضطربت وهي تجيبه:

– أقصد أنك رجل، وسيهتمون بك أكثر مني. وبدأت «سامانتا» تشعر بالخوف، وعينا «آدم» النافذتان تتفحّصانها، واندفع الدم إلى وجنتيها، فخفضت عينيها، وبعد فترة من الصمت، سمعت صوته يقول:

– آنسة «غولد»، إذا كنا سنعمل معًا، فأريدك أن تعرفي شيئًا مهمًا عني،

www.rewity.com

– والآن هيّا إلى العمل، أرجو أن تزوّديني بكلّ التفاصيل الممكنة عن العمل بالمدرسة. وفتحت «سامانتا» ملفًا وضعته أمامه فوق المكتب، وبعد أن تصفّح الأوراق نظر إليها قائلاً:

– أرى أنه يوجد الكثير من السيدات في هيئة التدريس ثم فاجأها بقوله:

– هل تقيمين في المدرسة؟ وشعرت «سامانتا» بحيرة تجاه هذا السؤال، وردّت بالإيجاب، وتلا ذلك فترة سكون بدا على «آدم» في خلالها أنه يفكر في شيء ما، فسألته بحذر:

– هل تعتقد يا سيد «رويل»، أنه سيكون بمقدورك الحضور للعمل في فترة الصيف؟ ورفع حاجبيه، وكأنه لا يرى مجالاً لمثل هذا السؤال، وردّ بالإيجاب، وشعرت «سامانتا» بالارتياح، فمهما كانت شخصية «آدم» فلابدّ من أنّ العم «إدوارد»، لم يكن يختاره لإدارة المدرسة، لو لم يكن مناسبًا للمنصب، وأنساها شعورها بالارتياح تحفّظها للحظة، فاندفعت تقول:

– إنني سعيدة لذلك، ستجد الجميع هنا أصدقاءك. ولم يرد «آدم» على هذا التعليق، واكتفى بالنظر من النافذة، ثم بدا عليه وكأنه قرر شيئًا، فاستدار بمقعده فجأة ليصبح في مواجهتها وقال:

– آنسة «غولد»، أتريدين أن أوضح لكِ شيئًا منذ البداية؟ وهو أنني لست اجتماعيًا، ولست على استعداد لإقامة علاقات شخصية مع أعضاء هيئة التدريس. ونظرت «سامانتا» إليه في ذهول وهي تقول:

– ما الذي يجعلك تعتقد أن أحدًا يريد أن يقيم معك علاقات شخصية؟

– إنه مجرد شيء يحدث دائمًا، وخاصة إذا كان يوجد هذا العدد من النساء، وسأكون شاكرًا لو أبلغت هذه الرغبة للجميع بطريقة لطيفة. وابتسم بطريقة معيّنة وهو يقول:

– وأنا على يقين من أنه لا تنقصك اللباقة. ونظرت إليه «سامانتا» في صمت، تساءلت عمّا يدعوه إلى هذا القول، فهو لا يبدو عليه أنه شخص غير اجتماعي، فإن نظرات عينيه والابتسامة التي تتراقص حول ركن فمه، لا تعطي هذا الانطباع أبدًا، وهزّت «سامانتا» رأسها في هدوء وهي تقول:

– ليس هذا من اختصاصي، ولكنني سأعمل على ألاّ يضايقك شيء. ويبدو أنّ «آدم» أراد أن يخفف قليلاً من موقفه السابق، فأردف قائلاً:

– في الحقيقة، إنني أقوم في الوقت الحاضر بتأليف أحد الكتب، ويجب أن أنتهي منه قبل نهاية الشهر القادم.

– إنني أقدر ذلك. ردّت «سامانتا» بطريقة مهذبة، وهي لا تدري ما إذا كان يتوقع منها أن تسأله عن هذا الكتاب، وانتظر «آدم» قليلاً، ولما لم تقل شيئًا نهض واقفًا وهو يقول:

– الآن وقد انتهينا، أكون شاكرًا لو شرحت لي كيف أذهب إلى المستشفى؟ أريد أن أقابل الطبيب؛ لأعرف منه المزيد عن حالة السيد «بارنز».

– حقًا، هل ستفعل ذلك؟ فأنا لم أتمكّن من التحدّث مع الطبيب، ولكني أعتقد أنّ الأمر سيختلف بالنسبة إليك. ونظر إليها «آدم» وهو يسأل في سخرية:

– حقًا ما تقولين؟ لكن لماذا؟ وشعرت «سامانتا» بأنه يحتويها بعينيه السوداوين، فاضطربت وهي تجيبه:

– أقصد أنك رجل، وسيهتمون بك أكثر مني. وبدأت «سامانتا» تشعر بالخوف، وعينا «آدم» النافذتان تتفحّصانها، واندفع الدم إلى وجنتيها، فخفضت عينيها، وبعد فترة من الصمت، سمعت صوته يقول:

– آنسة «غولد»، إذا كنا سنعمل معًا، فأريدك أن تعرفي شيئًا مهمًا عني،

www.rewity.com

وهو أنني لا أميل إلى المجاملات النسائية. ولم تدر «سامانتا» ما إذا كان «آدم» قد ابتسم وهو يقول ذلك، فإنها لم تكن تنظر إليه.

- 2 -

دخلت «سامانتا» إلى المطبخ، وكانت السيدة «كمبل» تعدّ الشاي، ونظرت «سامانتا» إلى فطيرة الكرز التي برعت السيدة «كمبل» في إعدادها، وهي تقول:

- إنني أحظى دائمًا بنصيب الأسد من هذه الفطيرة اللذيذة في أيام العطلات، ولو أنه يجب أن أحافظ على رشاقتي. ونظرت السيدة «كمبل» إلى قوام «سامانتا» النحيل بطريقة متفحصة، وهي تقول:

- أعتقد أنه يجب أن تتوقفي عن اتباع الرّجيم. وجلستا في صمت تتناولان الشاي. كانت السيدة «كمبل» من النوع العملي الذي يتحدث قليلاً ونادرًا ما تبتسم، وكانت «سامانتا» مشغولة الذهن بأشياء أخرى، أنهت «سامانتا» التهام فطيرتها، وشكرت السيدة «كمبل» التي اكتفت بالرد عليها بإيماءة من رأسها، وقالت:

- أرجو يا آنسة «غولد» أن تتذكري إحضار مفارش للشاي.

- لقد طلبت ذلك بالفعل. وساد الصمت بينهما من جديد، ثم قطعته السيدة «كمبل» فجأة قائلة:

- ذلك الشاب الذي يدعى السيد... لا أعرف اسمه، هل سيحضر في خلال الفترة الدراسية القادمة؟

- تقصدين السيد «رويل»، نعم، وسيكون شيئًا غريبًا أن يحلّ مكان السيد «بارنز». وردّت السيدة «كمبل»، دون أن تلتفت إلى «سامانتا»:

- أعتقد أنه سيمكنه ذلك. وابتسمت «سامانتا»، فقد كانت تدرك مقدرة السيدة «كمبل» في الحكم الصحيح على الأشخاص، وفي هذه اللحظة، علا رنين الهاتف، فأسرعت «سامانتا» للرّد عليه في لهفة لم تعهدها في نفسها من قبل، وجاءها على الطرف الآخر صوت عرفته على الفور، كان صوت «آدم رويل» الذي لا يمكن أن تخطئه الأذن، فقد كان عميق النبرات، ينمّ عن ثقة بالنفس، وسمعته يقول:

- آنسة «غولد» أنا «آدم رويل»، ظننت أنك تريدين الاطمئنان على صحة السيد «بارنز». واستطرد يقول:

- قابلت الطبيب، وطمأنني على حالته، ربما لزم بعض الوقت للشفاء التام، نظرًا لخطورة الجراحة. وشكرته «سامانتا» بلهجة حاولت أن تخلو من أي انفعال، وساد الصمت بينهما قليلاً، ثم قال «آدم»:

- لم نتفق بعد على موعد حضوري إلى المدرسة، متى يبدأ العمل؟

- يوم الثلاثاء المقبل، وقد يعود المدرسون قبل ذلك.

- حسنًا، أود الحضور إلى المدرسة قبل ذلك، إذا لم يكن هناك ما يمنع، ما رأيك؟ هل يناسبك يوم السبت؟ وترددّت «سامانتا» قليلاً، فقد انتابها شعور بالاضطراب من احتمال وجودهما مع السيدة «كمبل» بمفردهم طوال فترة نهاية الأسبوع، وبدا وكأن «آدم» شعر بهذا التردد؛ إذ جاءها صوته يقول:

- إذا كان ذلك غير مناسب... ولكنها قاطعته بسرعة قائلة:

- لا بالطبع، سننتظرك يوم السبت المقبل، وسيكون كل شيء معدًا لحضورك. ثم سادت بينهما فترة أخرى من الصمت، قطعها «آدم» وهو يقول:

- شكرًا يا آنسة «غولد» وإلى اللقاء. ووضعت «سامانتا» السماعة، وهي

www.rewity.com

تفكّر في الحديث الذي جرى بينهما، وفي اليوم التالي، ذهبت لزيارة العم «إدوارد»، و وقفت «سامانتا» إلى جانب السرير، الذي يرقد عليه رجل بدا وكأنه نائم، وامتلأت عيناها بالدموع. كان من الصعب أن تصدّق، أن هذا الرجل الشاحب الذي يبدو عليه الإرهاق الشديد هو العم «إدوارد» المفعم بالنشاط، وكانت الممرضة قد طلبت من «سامانتا» ألاّ تطيل في الزيارة. ترددت في وقفتها فلم ترغب في إيقاظه، ولكن تردّدها لم يطل، فقد فتح العم «إدوارد» عينيه في إعياء شديد، وظهر الفرح فيهما عندما عرفها، وتبدّل وجهه سريعًا ليعود من جديد العم «إدوارد» الذي تعرفه، وانحنت «سامانتا» وقبّلته، وجذبت مقعدًا حيث جلست بجوار السرير، وقد أخذت يده الواهنة بين يديها في حنان ، وهي تقول:

– كيف الحال يا عم «إدوارد»؟ لن يسمحوا لي بالبقاء معك طويلاً. ولاحت ابتسامة على شفتيه، وهو يقول بصوت ضعيف:

– أنا بخير، سأخرج قريبًا، كل شيء على ما يرام؟ وضغطت «سامانتا» على يده مطمئنه.

ولم يزد العم «إدوارد» على ذلك، بل أغمض عينيه برضا واطمئنان، وظلت «سامانتا» في مكانها، محتفظة بيده بين كلتا يديها، إلى أن طلبت منها الممرضة إنهاء الزيارة، وعادت «سامانتا» إلى المدرسة، وهي تشعر بقلق شديد، إنها لم تكن تقدّر من قبل مدى تعلقها بالعم «إدوارد» الذي احتلّ في نفسها مكانة والدها، الذي كانت تحبّه إلى درجة كبيرة، لقد توفي والدها فجأة وهي بعد في السابعة عشرة من عمرها، وكانت لوفاته المفاجئة، صدمة كبيرة بالنسبة إليها وإلى أختها «ليزا» التي حزنت لبعض الوقت، ثم عادت إلى طبيعتها المرحة، وقد وافقت «ليزا» بعد ذلك على الذهاب مع أمها في العماد في رحلة إلى «اليونان»، حيث أقامت معها بعد ذلك بصفة

دائمة. أما «سامانتا» فقد أصرّ «إدوارد بارنز» الذي كان صديقًا قديمًا لوالدها على أن تقيم معه. هو وزوجته العمة «بيتي»، وطلب منها أن يحل مكان والدها، الذي كان من المقرر أن يشترك معه في مشروع إقامة المدرسة، ولكن العمر لم يسعفه، وبعد أن أنهت «سامانتا» دراستها الثانوية، رفضت فكرة الذهاب إلى الجامعة، وفضّلت التدريب على أعمال السكرتارية، وتسلّمت بعد ذلك عملها كسكرتيرة في المدرسة، حيث كانت تفضّل البقاء مع العم «إدوارد» والعمة «بيتي»، اللذين عوّضاها حنان والدها و لكن بدأت صحة العمة «بيتي» تتدهور شيئًا فشيئًا ، فبدأت خدماتها لـ«سامانتا» تتناقص، فلم يبق لديها ما تمنحه سوى الحب والحنان، وهكذا مضت الأيام، حتى أصبحت العمة «بيتي» لـ «سامانتا»، الأم التي لا تتذكّرها، ولكنها عندما توفيت منذ أربع سنوات، حزنت عليها «سامانتا» حزنًا شديدًا، أما «ليزا»، فقد تزوّجت بعد ذلك بفترة وجيزة بـ «روبرت فليدنغ»، الواسع الثراء، الذي كان يشغل منصبًا مرموقًا في أحد مصانع السيارات، وأقامت في منزل جميل في إحدى الضواحي الراقية القريبة، وفي ذلك الوقت تقريبًا، عاد «ريتشارد بارنز» الذي يدرس في «أوكسفورد»، وكان يمضي عطلاته الصيفية دائمًا في المدرسة، وحرص دائمًا على أن يظهر لـ «سامانتا»، في خلال تلك الفترات القليلة، مدى اعتزازه بصداقتها وارتياحه لصحبتها، وكانت «سامانتا» تبادله الشعور نفسه. فهي تشعر بصحبته بالأمان الذي افتقدته بوفاة والدها المفاجئة. و قد مضي أسبوع بعد مقابلتها «آدم رويل»، وكان على «سامانتا» أن تقوم بالكثير من الواجبات مع بدء الدراسة، ومع اقتراب الموعد ازدادت أعباؤها ورغم ذلك استطاعت أن تختطف بعض الوقت؛لتقوم بزيارتين للعم «إدوارد»، الذي بدا وكأنه يتماثل للشفاء ببط ء شديد، وفي الموعد المتفق عليه، وصل «آدم رويل» إلى المدرسة، وكانت

www.rewity.com

«سامانتا» تتفقد جناح العم «إدوارد» حيث سيقيم «آدم»، عندما أعلنت السيدة «كمبل» قدومه، وبطريقة لا شعورية، وجدت «سامانتا» نفسها تنظر إلى المرآة لتعدل من هيئتها، وفي هذه اللحظة انتابها شعور بعدم الارتياح، وتمنت لو أنها لم تر «آدم رويل» مرّة أخرى، وسمعت «سامانتا» صوت السيدة «كمبل» وهي تقول:

– معذرة يا سيدي، سأبلغ الآنسة «غولد» بحضورك. وبعد أن ألقت نظرة أخيرة إلى المرآة، اتجهت «سامانتا» صوب الباب، وهي تعلن للسيدة «كمبل» حضورها، وتقدّمت إلى «آدم» مرحبة، وابتسمت وهي تقول:

– مساء الخير يا سيد «رويل»، أرجو أن تكون بخير. ولم تمد «سامانتا» يدها لمصافحة «آدم»، الذي مدّ يده وصافحها، محتفظًا بيدها في يده لفترة أطول من المعتاد، وبعد أن ترك يدها قال مبتسمًا:

– هذا تعويض لما حدث مني في المقابلة الماضية. وشعرت «سامانتا» باضطراب شديد، فقد فوجئت بهذه المقابلة الودّية من جانب «آدم»، ولزمها وقت طويل قبل أن تستعيد هدوءها، وتردّ عليه قائلة:

– إنني سعيدة لذلك، والآن أصطحبك إلى جناحك. وسألته السيدة «كمبل»:

– أين تودّ أن تأخذ عشاءك يا سيدي.

– هذا لا يهم على الإطلاق، إنني لا أريد أن أسبب لك المزيد من المتاعب، سأتناول العشاء في غرفة الطعام، أرجو ألا يسبب وجودي المبكر أية متاعب إضافية. كانت السيدة «كمبل» تحدّق إلى «آدم» بوجهها الممتلئ، وقد اكتسى بتعبير غريب، عرفت فيه «سامانتا» إحدى ابتساماتها النادرة، وبعد أن ذهبت التفت «آدم» إلى «سامانتا» وهو يرفع حاجبيه في دهشة، وقال ساخرًا:

– حقًّا، إنّ تعبيرات وجهها غريبة، هل هي دائمًا هكذا؟ فردّت «سامانتا» في لهجة حاولت أن تبدو باردة:

– إنها تبتسم لك، وهو شيء نادرًا ما يحدث، يمكنك أن تعتبرها تحية خاصة. وسكتت قليلاً ثم قالت:

– إلا إذا كنت تريد أن تضم السيدة «كمبل» إلى قائمة النساء في المدرسة. وضحكت عينا «آدم» وهو يردّ على «سامانتا» قائلاً:

– هل أنتِ دائمًا حسّاسة هكذا يا آنسة «غولد»؟ وشعرت «سامانتا» بأنها فشلت حتى الآن في محاولاتها؛ لكي تسير الأمور بينها وبين «آدم» بطريقة مرضية، فقالت معتذرة:

– معذرة، أحاول فقط ألاّ أنسى رغباتك، فإنني أريد التعاون معك بقدر الإمكان؛ إكرامًا للعم «إدوارد» ولمصلحة المدرسة، لكن يبدو أن الأمر سيكون من الصعوبة بمكان. وردّ «آدم» قائلاً:

– ألا تبالغين في قولك قليلاً؟ إن ملاحظتي بالنسبة إلى السيدة «كمبل» لم أقصد بها شيئًا، حقيقة أنا معجب بها، لكن أليس من الأفضل الآن أن تتخلي عن هذا الموقف المتزمّت، ونتحدث كآدميين؟ ووقفت «سامانتا» في منتصف الغرفة تحدّق إليه بذهول، وقد شعرت بأنّ جميع القرارات التي اتخذتها؛ لتكون على علاقة طيبة بـ «آدم» قد انهارت فجأة، وردّت في انفعال شديد:

– أعتقد أنني إنسان فعلاً، إنك أنت. وردّ «آدم» قولها في سخرية وهو يقول:

– ردّ الفعل النسائي التقليدي. وانتاب «سامانتا» غضب مفاجئ، وارتعشت ركبتاها، وأخذ قلبها يدق بعنف وهي تقول:

– إن هذا شيء غير معقول على الإطلاق. ولدهشتها الشديدة، مدّ «آدم»

يده ليمسك برسغها بقوّة، وهو يقول:

– المجادلات النسائية نفسها، تعالي الآن يا آنسة «غولد»، إنني أشعر بأنّ البداية كانت خاطئة، أرجو أن تهدئي قليلاً، حتى يمكننا التحدث في هدوء. قال «آدم» ذلك وهو يسحبها من رسغها؛ لتجلس على الأريكة المجاورة للنافذة، وحاولت «سامانتا» أن تتخلّص من قبضة يد «آدم» القوية، ولكنها بدت وكأنّ الموقف قد خرج من يدها تمامًا، فجلست وجلس «آدم» إلى جانبها، وهو مازال محتفظا بقبضته على رسغها كأنها طفلة ثائرة يحاول تهدئتها، وفي هذه اللحظة، انتاب «سامانتا» شعور بالخجل الشديد؛ لأن الموقف وصل بينهما إلى هذا الحد، وشعرت بعينيْ «آدم» تتفحصان وجهها، ولكنها لم تستطع أن ترفع عينيها إلى وجهه. كانت تشعر بأن تصرّفها هو الذي أوقعها في هذا الموقف، وكان عليها منذ البداية أن تدرك أن «آدم» ليس من طراز الرجال الذي يمكن التعامل معه بسهولة، وأدركت في هذه اللحظة أن «ليزا» كانت على حق عندما وصفته بالقسوة، وعندما بدأ «آدم» الحديث من جديد، بدا صوته هادئًا، وهو يقول:

– والآن يا آنسة «غولد»، نريد أن نوضح بعض الأمور منذ البداية، عندما قابلتك لأول مرّة، كان انطباعي عنك أنك فتاة على جانب من الفطنة، ولعلّ هذا ما دفعني لأن أتبسّط معك في الحديث، لكن لا داعي أبدًا لأن تتمادي في مثل هذا الموقف، الذي لا يمكن أن أقبله من أي شخص، واستطرد يقول:

– لقد أوضحت في أكثر من مناسبة أنك لا تميلين إليّ، لكن لا داعي لأن تنتهزي الفرص لتؤكدي لي هذا الموقف، في الحقيقة أفضّل هذا الشعور من النساء اللواتي يعملن معي. وسكت قليلاً ثم قال:

– والآن، هل أوضحت موقفي؟ وشعرت «سامانتا» بدمائها تغلي في عروقها، لكن كان عليها أن تحاول التعامل مع «آدم» بأية طريقة في خلال الشهور القادمة، إكرامًا للعم «إدوارد»، وعليها أن تكون على الأقل مهذبة معه، ورفعت «سامانتا» عينيها، فالتقتا بعيني «آدم»، ومرّة أخرى انتابها الشعور بالضعف الشديد إزاء نظراته النّفاذة العجيبة، وردّت في لهجة حاولت أن تخلو تمامًا من أي تهكم:

– نعم يا سيد «آدم»، أعتقد أن كل شيء واضح تمامًا. وابتسم «آدم» وترك رسغها وهو يقول:

– حسنًا، أعتقد أنّ الأمور ستمضي بيننا على ما يرام، والآن هل يمكنك أن ترشديني إلى جناحي؟ وصحبته «سامانتا» وهي تقول إن العشاء سيكون معدًا في تمام الساعة السابعة وأشارت إلى خزانة بالغرفة، وهي تقول:

– ستجد هنا ما يلزمك من مشروبات.واتجه «آدم» إلى حيث أشارت «سامانتا»، وأخرج زجاجة وهو يقول:

– والآن، فلنشرب نخب تسلّمي العمل.

– شكرًا يا سيد «آدم»، أعتقد أن الوقت مازال مبكرًا بالنسبة إلي لتناول الشراب. ونظر «آدم» إلى ساعته، ثم رفع عينيه ونظر إليها وابتسامته تتراقص على شفتيه، ثم قال:

– حسنًا، على أية حال، لن أعتبر هذا موقفًا منك. وبعد تفكير قليل وجدت «سامانتا»، أنه ليس من حقها التعامل معه بهذه الطريقة، فعادت إلى الطاولة، حيث أخذت الكأس التي ملأها، وقال «آدم» وهو يرفع كأسه وينظر إلى عينيها:

– نخب المزيد من التفاهم بيننا. وردّت «سامانتا» النخب بصوت خافت، وأسرعت بشرب كأسها، وغادرت الغرفة وهي تفكّر فيما حدث. كانت

www.rewity.com

المرّة الأولى التي تفقد فيها «سامانتا» أعصابها، ولكنها تعتقد أن «آدم» من الطراز الاستفزازي من الرجال، واتجهت «سامانتا» إلى مكتبها، حيث حاولت الاتصال بـ «ليزا» هاتفيًا، ولمّا لم تتلق ردًّا، صعدت إلى غرفتها؛ لتعدّل من منظرها قبل الجلوس إلى العشاء. لم يكن من عادة «سامانتا» أن تبدّل ملابسها قبل العشاء في أوقات العطلات، إلا إذا حضر أحد الضيوف، ولكنّ الأمر يختلف الليلة مع وجود «آدم رويل»، وداخلها شعور بالتحدّي وهي تنتقي أجمل ثيابها، لابدّ من أن تبدو جذابة، فإن هذا الشعور سيمنحها الثقة بنفسها لمواجهة «آدم»، واطمأنت «سامانتا» إلى مظهرها في المرآة قبل أن تغادر غرفتها، وشعرت بأنها على استعداد لمواجهة «آدم» وابتسامته الساحرة. واتجهت «سامانتا» إلى المطبخ. كانت رائحة الطعام اللذيذة تفوح منه، وكانت السيدة «كمبل» تقف وقد ارتدت ثوبًا وردي اللون، بدلاً من الثوب الأزرق الداكن الذي اعتادت ارتداءه، وأظهرت «سامانتا» للسيدة «كمبل» استحسانها لثوبها، فردّت قائلة:

– إنه مجرّد تغيير. ثم انشغلت في إعداد الطعام، وهي تسأل «سامانتا» عما إذا كانت ستقوم بإبلاغ «آدم» بأن العشاء معد، وطلبت «سامانتا» منها أن تبلغه ذلك بنفسها، وعلى الرغم من أنه كان هناك اتصال بين المطبخ وجناح العم «إدوارد»، فإن «كمبل» فضلت الذهاب بنفسها قائلة:

– سأبلغه ذلك بنفسي، فهذه هي المرة الأولى التي يبدو فيها لطيفًا.

واتجهت «سامانتا» إلى غرفة الطعام التي تطلّ على ملاعب التنس، كان المكان معدًّا لشخصين، واطمأنت إلى أن كل شيء في مكانه، وأخذت تتساءل ما إذا كان من الواجب تقديم الشراب إلى «آدم» على العشاء، وفي هذه اللحظة، سمعت وقع أقدامه وهو يدخل إلى الغرفة، لاحظت «سامانتا» أنه بدّل ملابسه، وارتدى حلّة داكنة اللون مع رباط عنق زاهي،

وبدا جذابًا للغاية، وقال «آدم» وهو يتجه إليها:

– تبدين كمضيفة، هل تنتظرين أحدًا على العشاء؟ وتحركت «سامانتا» إلى الطاولة وهي تقول:

– لا يوجد غيرنا الليلة. ولم تدر ماذا تقول بعد ذلك، كانت تشعر بالتردّد في مواجهة «آدم»، فقد تعودت الصراحة في تعاملها مع الناس، ولكنها شعرت بأنّ الوضع يختلف مع «آدم»، ثم قالت وهي تحاول أن تكون لطيفة:

– كنت أتساءل إذا كان من الواجب أن أقدّم إليك الشراب؟ وظهرت الدهشة على وجهه، وبدا وكأنه يفكر وهو يلتفت إليها قائلاً:

– هذا شيء جميل، ويجب أن أعترف بذلك، لكن ما هي المناسبات التقليدية في المدرسة لتقديم الشراب؟

– أعياد الميلاد ورأس السنة، والمناسبات الخاصة.

– حسنًا، إنه ليس عيد ميلادي، ولا أعتقد أيضًا أنه عيد ميلادك، ولهذا أقترح اعتبارًا من الليلة مناسبة خاصة، إذا كنت تتفقين معي في ذلك.

– هذا شيء عليك أنت أن تقرّره.

– لا، هذا اختصاصك كسيدة. قال «آدم» ذلك ونظر إليها بطريقة عابثة، فشعرت بدقات قلبها تسرع، وبذلت جهدًا كبيرًا وهي تحاول إبعاد عينيها عن عينيه الآسرتين، وقالت:

– أنا على يقين من أنّ العم «إدوارد»، كان سيقدم إليك الشراب طيلة بقائك في المدرسة. ورفع «آدم» حاجبيه في دهشة قائلاً:

– العم «إدوارد»! لم أكن أعرف أن هناك صلة قرابة بينكما. فردّت «سامانتا» بسرعة:

– لم أقصد ذلك تمامًا، إنّ «إدوارد بارنز»، كان صديقًا حميمًا لوالدي الذي

توفي فجأة منذ بضع سنوات. ولاحظت «سامانتا» لمحة من الحزن تكسو وجه «آدم»، فاستطردت تشرح له العلاقة بين العم «إدوارد» ووالدها. وبعد فترة من الصمت، هزّ «آدم» رأسه بأسف، وهو يقول:

– أذكر أن السيد «بارنز» قصّ عليّ شيئًا من هذا القبيل، إنه شخص عظيم. ولفهما الصمت من جديد، ونسيت «سامانتا» في هذه اللحظة تمامًا وجود «آدم»، فقد كانت تسترجع صورة العم «إدوارد» وهو على سريره بالمستشفى، وأخيرًا قطع «آدم» الصمت وهو يقول:

– لقد سألت عنه في المستشفى ويبدو أنه في حالة جيدة، وأخذ «آدم» ينظر إلى «سامانتا» بانتباه وهي تتحدّث عن العم «إدوارد»، وقد لمعت عيناها الزرقاوان، وقال أخيرًا:

– أعتقد أننا وجدنا مناسبة نحتفل بها معًا، فلنذهب إلى العنبر لإحضار زجاجة. وذهبت معه «سامانتا»، وفتحت الباب وأضاءت النور، وهي تحذّره من درجات السلم المتآكلة، ونزل «آدم» أولاً، وعندما وصل إلى النهاية نظر إلى أعلى وهو يقول:

– انتبهي إلى هذا الحائط حتى لا يتسخ رداؤك الجميل! ما كاد «آدم» ينطق بذلك حتى زلّت قدم «سامانتا»، فمدّ «آدم» ذراعه ليمسك بها بقوة، وشعرت للحظة بأنها ملتصقة به، فاضطربت بشدّة، ثم سمعته يسألها وهو يبعد ذراعه عنها:

– هل حدث شيء؟ وردّت «سامانتا» بالنفي، وبدأت تشعر ببرودة العنبر الذي كانت الظلال تخيّم على أركانه، وروّعتها فكرة وجود جرذان فارتعشت، ولكنها حاولت التماسك، وأشارت إلى ركن مظلم كان العم «إدوارد» يحتفظ فيه بالشراب، وقالت:

– أعتقد أن الضوء ليس كافيا، ولن يمكنك قراءة ما كتب على الزجاجات،

سأصعد لأحضر لك شعلة. ومدّ «آدم» إليها يده بعلبة الثقاب، وتلامست أصابعهما للحظة، وقال:

– يكفي أن تضيئي لي عودًا من الثقاب. وأضاءت «سامانتا» الثقاب، وأدهشها أنّ عود الثقاب كان يرتعش بشدّة في يدها، وهي تقرّبه من «آدم» الذي أخذ يقرأ ما كتب على الزجاجات، ثم قال:

– على فكرة، ماذا سنأكل على العشاء؟

– شرائح من اللحم وفطيرة بالكلاوي. واختار «آدم» إحدى الزجاجات، وهو يقول:

– وفي هذه الحالة، أعتقد أن هذا النوع مناسب. وانطفأ عود الثقاب، فأشعلت «سامانتا» عودًا آخر، واقتربت من «آدم» الذي كان منحنيًا يقرأ ما كتب على الزجاجة. كان رأسه قريبًا منها إلى الدرجة التي مكنتها من أن تشمّ الرائحة المعطرة التي تنبعث من شعره الفاحم، والتفت ناحيتها وهو يسألها هل يعجبها هذا النوع من الشراب؟ وظهرت عيناه في ضوء الثقاب وكأنهما بحيرتان لا قرار لهما، وشعرت «سامانتا» وكأنها تحلّق في عالم من الخيال، وأخيرًا تمكّنت من انتزاع نفسها من هذا الحلم الذي عاشت فيه لحظة، وهي تحاول إقناع نفسها بأن شيئًا لم يحدث، واختار «آدم» الزجاجة وضمها بين ذراعيه في اعتزاز وهما يصعدان معا درجات السلم؛ ليعودا إلى غرفة الطعام، وغمر «سامانتا» وهي تنظف الزجاجة من الأتربة العالقة بها، شعور بالمرح، فقد كانت تشعر وكأن هذا العشاء الخاص، ما هو إلاّ موعد رتّب له من قبل، ونظر إليها «آدم» وهو يفتح زجاجة الشراب بطريقة لطيفة قائلاً:

– أرجوك لا تعتقدي أنني عدوّ للنساء، كل ما أردت أن أوضحه هو أنني أفضّل ألاّ أعمل مع النساء، ولكننا الآن لا نعمل، أليس كذلك؟

www.rewity.com

والتقت نظراتهما، ولفهما الصمت عندما دخلت السيدة «كمبل» فجأة بطعام العشاء، ونظر «آدم» إلى الفطائر وهو يقول موجهًا كلامه إلى السيدة «كمبل»:

– أرى أنك طاهية ماهرة. فهمهمت السيدة «كمبل» ببضع كلمات، واصطبغ وجهها باللون الأحمر، وبعد أن وضعت الأطباق على المائدة، هرولت مسرعة خارج الغرفة، وفي هذه اللحظة، تذكّرت «سامانتا» وصف «ليزا» لـ «آدم» بأنه شخص لا يقاوم. إنه فعلاً كذلك، فقد ظهر تأثير «آدم» واضحًا في السيدة «كمبل»، ووجدت «سامانتا» نفسها تفعل شيئًا بالطريقة نفسها التي تعوّدتها وهي طفلة، عندما كانت ترجو أن تبعد عن نفسها أذى معينًا، فعقدت أصابعها وراء ظهرها وهي تجلس أمام «آدم» لتناول العشاء.

– 3 –

جلست «سامانتا» و «آدم» يتناولان العشاء، وقال «آدم» وهو يلتهم الطعام بشهية:

– إنّ الشخص الأعزب هو وحده الذي يدرك مدى جودة الطعام المنزلي.

وسألته «سامانتا» عن مكان إقامته وهي تأمل ألاّ يكون سؤالها شخصيًا، فأجاب «آدم»:

– ليس بعيدًا عن المدرسة، إنني أقيم في كوخ صغير في «كوست وولدز».

ثم استطرد يقول:

– لقد تركته لفترة، في خلال وجودي في «باريس»، حيث كنت أقوم بأبحاث خاصة بالكتاب الذي أقوم بتأليفه. وسألته «سامانتا» عن موضوع

الكتاب، بعد أن بدا الودّ واضحًا بينهما، كما بدا على «آدم» وكأنه أعجبه تجاوبها معه، فردّ قائلاً:

– الموضوع قد لا يعجبك، إنه عن التعليم. كانت «سامانتا» بالفعل لا تهتم كثيرًا بهذا الموضوع، ولكنها ردّت بأدب:

– لابدّ من أنه موضوع مسل.

– إنه كذلك بالنسبة إليّ، فأنا أهتمّ دائمًا بالبحث عن نشأة الأشياء، وهذا ما يتناوله كتابي، إذ يدور حول نشأة التعليم في «أوروبا». انتبهت «سامانتا» إلى حديثه، فقد كانت تهتم بالتاريخ، وتواصل الحديث بطريقة طبيعية، وانطلقت «سامانتا» تتحدّث على سجيتها، ولم تكن تدري، هل كان ذلك بسبب الشراب أم لأنّ الموضوع أعجبها؟ وبدا «آدم» وكأنه يشعر بالراحة، وكانت عيناه تبرقان تحت رموشه الكثيفة، وتذكرت «سامانتا» في هذه اللحظة، ما قالته «ليزا» في إحدى المرات، من أنّ إتاحة الفرصة للرجل ليتحدث في الموضوع الذي يفضله، هي إحدى وسائل التقرّب إليه. إن «ليزا» دائمًا تهتم بالحديث عن العلاقة بين الجنسين، وكانت دائمًا ومنذ صغرها جديرة بهذه الأمور، ولم تكن «سامانتا» تودّ التقرب إلى «آدم»، ولكنها كانت تريد أن تقيم معه علاقات طيبة لمصلحة العمل، واستطردت «سامانتا» تسأل:

– هل تسمح لي بقراءة بعض ما كتبت، إلاّ إذا كنت تكتب لمتخصصين فقط؟

– بالطبع لا، إنّ هدفي هو إتاحة فرصة المعرفة للجميع، وكم أود أن أجرّب مدى نجاحي في ذلك معك يا «سامانتا». اهتزّت «سامانتا» قليلاً لدى سماعها «آدم» وهو ينطق باسمها مجرّدًا لأول مرة، وفي هذه اللحظة، دخلت السيدة «كمبل» الغرفة، وبدأت في رفع بقايا الطعام، وبعد أن

www.rewity.com

شكرها «آدم» استدار إلى «سامانتا» مستأذنًا في الانصراف ليرتّب أمتعته، وقالت وهي تودعه:

– لقد أسعدني حديثك عن الإمبراطور «شارلمان»، وأنا على يقين من أن كتابك سيكون رائعًا. ونظر إليها «آدم» بطريقة ذكّرتها بما قاله من قبل، من أنه لا يحب المجاملات النسائية، وحاولت أن تقول شيئًا آخر، ولكن الكلام لم يسعفها، فسكتت وودّعت «آدم» على أن يلتقيا في الصباح، واتجهت «سامانتا» إلى غرفتها، وقد اقتنعت تمامًا بأن «آدم» ذو شخصية مزدوجة، فقد كانت شخصية «آدم» الذي جلس يتجاذب معها أطراف الحديث في ودّ على العشاء، غير شخصية «آدم» الأخرى التي تتسم بالبرود أحيانًا إلى درجة الوقاحة، وفي الصباح رافقت «سامانتا» «آدم» في جولة بأنحاء المدرسة، ولاحظت أنه دقيق جدًا في محاولته معرفة كل التفاصيل، وبدا لها بالفعل بمظهر المدير الشاب، وبعد الانتهاء من هذه الجولة، وقفا معًا في الشرفة الملحقة بغرفة المدرسين، وقالت «سامانتا» وهي تشير إلى ملاعب التنس:

– سيتم قريبًا إعداد هذه الملاعب، لقد كانت السيدة «بارنز» تقيم أحيانًا مباريات للتنس في أيام العطلات. قالت «سامانتا» ذلك، ونظرت إلى وجه «آدم»، لترى ما إذا كان يذكر تلك المباراة التي حضرها منذ أربع سنوات، وقد تأكّد لها ذلك بالفعل، فقد اكتسى وجهه بجمود مفاجئ لا يمكن تجاهله، وقال:

– دعينا ندخل الآن، فأنا أريد معرفة المزيد عن الجداول. وقاطعته «سامانتا» لأنها كانت تعرف أنهما لم يبحثا هذا الموضوع من قبل، ولكنه لم يستمع إليها، فقد اندفع إلى داخل الغرفة، وهزّت «سامانتا» كتفيها وتبعته إلى الداخل. حان وقت الغداء، وتناولاه معًا في المكتبة، وكان أشبه

بغداء عمل، فقد عكف «آدم» على دراسة الأوراق التي أمامه، وبدا وجهه مقطبًا وهو منكب على المكتب، واستجمعت «سامانتا» شجاعتها وقاطعته قائلة:

– سيد «رويل». ورفع «آدم» رأسه دون أن تفارق وجهه التقطيبة، واستمرّت تقول:

– آسفة لمقاطعتي لك، ولكنني أنوي الذهاب إلى المستشفى بعد الظهر، ولاأدري... ولم يدعها تكمل حديثها؛ إذ ردّ عليها فورًا.

– حسنًا، يمكنك الذهاب. ونظر إلى ساعته وقال:

– لماذا لم تخبريني من قبل، هل لديك سيارة؟

– نعم، لديّ سيارة صغيرة.

– حسنًا، اذهبي الآن، وآمل أن تكون صحته قد تحسنت. واستطرد وهي تتّجه إلى الباب، كأنما تذكّر شيئًا:

– «سامانتا». واستدارت إليه بسرعة وقد انتابها الشعور الغريب الذي ساورها من قبل عندما ناداها باسمها، وقالت:

– نعم يا سيد «رويل».

– أرجو أن تعرفي منه إذا كان بإمكانه رؤيتي. ومضت «سامانتا» بسيارتها في طرقات البلدة التي تحفّ بها الأشجار، وقد بدأت الخضرة تكسوها مع قدوم الربيع، ووجدت نفسها تفكّر في «آدم رويل». لقد بدا لطيفًا وهو يتحدّث عن العم «إدوارد»، لا يمكن أن يكون مثل هذا الشخص عديم المشاعر كما وصفته «ليزا»، لابدّ من أن هناك حلقة مفقودة في قصة «ليزا» عليها أن تبحث عنها. كان المستشفى مزدحمًا بزوار يوم الأحد، وكانت أشعة الشمس تدخل من نافذة العنبر الذي يقيم فيه العم «إدوارد»، الذي رفع لها يده بالتحيّة عندما رآها تدخل، ووضعت «سامانتا» زهور النرجس

التي جمعتها من الحديقة على عجل، وقالت وهي تقبله:

– إنك تبدو في أحسن حال الآن. قال وهو ممسك بيدها بين يديه:

– إنني أشعر بتحسن لأنني رأيتك. كان صوته مازال واهنًا، ولكن البريق عاد إلى نظراته، وابتسمت له «سامانتا» من بين دموعها.

– لقد كانت تجربة صعبة، لكن شكرًا لله انتهت على خير. ثم استطردت وهي تفتح حقيبتها:

– لديّ مفاجأة سارّة لك، رسالة من «ريتشارد» وصلت أمس. ورفع إليها عينين متسائلتين، ولكنها ردّت على الفور:

– لا يا عزيزي، إنه لم يعرف شيئًا عن مرضك، إنني عند وعدي لك. ربّت يدها بامتنان، وفضّت «سامانتا» المغلف، وكان بداخله رسالتان، إحداهما للعم «إدوارد»، والأخرى لها وضعتها في جيبها وهي تقول:

– سأقرأها فيما بعد. وأخذت «سامانتا» تقرأ رسالة العم «إدوارد» بصوت مرتفع، وبعد أن انتهت، أعادت وضعها في المغلف وهي تقول:

– حسنًا، إنه على ما يرام. وبعد أن تحدّثا فترة عن «ريتشارد»، سألها العم «إدوارد»:

– والآن، ماذا عنك؟ ومتى يحضر «آدم رويل»؟

– لقد وصل بالفعل أمس.

– حقًا؟ إنني أعرف أنه يحب دراسة كل شيء بعناية، لأنه دقيق في عمله.

– هذا صحيح. وأضافت «سامانتا» وهي تبتسم:

– وعندما تعود إلى المدرسة لن تجد «سامانتا» التي تعرفها. وظهر القلق على وجه العم «إدوارد» وهو يقول:

– لن يحدث هذا، هل تعتقدين أنه سيمكنك التعاون معه يا عزيزتي؟

– بالطبع يمكنني ذلك، ولو أن شخصيته تبدو غامضة. وسكتت برهة، ثم سألت:

– هل هو عدّو للنساء؟ وابتسم العم «إدوارد» وهو يقول:

– «آدم رويل» عدو للنساء! إنه على العكس من ذلك تمامًا، ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟

– لقد أبلغني أنه لا يحبّ التعامل مع النساء.

– هل قال «آدم» ذلك؟ لا أعتقد أنه يعني ما يقول، ربما كان ذلك مجرّد إجراء يحمي به نفسه، فهو محبوب من النساء، وأذكر تمامًا أيام كنّا معًا في الجامعة أن الفتيات كنّ يَحُمن حوله مثل الفراشات حول ضوء الشمعة، طلبتُ منه مرارًا أن يتزوج، وكان يرد بأنه سيفعل ذلك عندما يجد الفتاة المناسبة، وأعقبت ذلك فترة من الصمت قطعتها «سامانتا» بقولها:

– دعنا الآن من «آدم رويل»، ولنتحدّث عنك. وأخذا يتحدثان لبعض الوقت، ولاحظت «سامانتا» مظاهر الإرهاق، وقد بدت واضحة على وجهه، فوقفت وهي تقول:

– سأذهب الآن، فقد أرهقتك بحديثي، لقد أبلغني «آدم» برغبته في الحضور لزيارتك، هل توافق؟ وردّ العم «إدوارد» في صوت خافت بالإيجاب. وقفت «سامانتا» للحظة تنظر إليه. قد بدا لها عجوزًا، وعلا وجهه الشحوب، ولم يكن قد بلغ الخمسين بعد، وابتلعت «سامانتا» دموعها وهي تنحني عليه تقبّله مودّعة، وعندما دلفت إلى سيارتها، فتحت رسالة «ريتشارد» وأخذت تقرأها، وهي تسترجع صورته بقامته المشوقة النحيلة، وعينيه الرماديتين وحبّه للمرح. كانت رسالة قصيرة، عرفت منها أن «ريتشارد» غير متحمّس للعودة إلى التدريس، ووضعت «سامانتا» الرسالة في جيبها وهي تبتسم، إن رسالة «ريتشارد» تعكس شخصيته الهادئة المتّزنة المفعمة

www.rewity.com

بالمشاعر الإنسانية. كانت متعلقة بـ «ريتشارد» إلى درجة كبيرة، فهو من الطراز الذي يمكن الوقوع في حبّه سريعًا، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل، هل تحبّه حقًا؟ وجلست «سامانتا» ويدها على مفتاح السيارة وهي تفكّر، ثم هزّت رأسها في حيرة، وأدارت المفتاح، وخرجت من المستشفى. كانت «سامانتا» تريد أن تمرّ بمنزل «ليزا» في طريق عودتها إلى المدرسة، ولم يكن منزلها في ذلك الطريق، فقد كان يبعد بضعة كيلومترات عن البلدة، ولكنها كانت تريد الاطمئنان عليها، خاصة وأنها أقسمت ألاّ تحضر إلى المدرسة في خلال فترة وجود «آدم» بها. كانت «سامانتا» تعتقد أن «ليزا» تبالغ كثيرًا بالنسبة إلى موقفها من «آدم»، خاصة وأن المسألة لم تكن متعلّقة بها هي شخصيًا. ولكنها سرعان ما استعادت في ذهنها صورة أختها، وقد اكتسى وجهها الجميل بهذا التعبير الفظيع، عندما نطقت أمامها باسم «آدم رويل»، كما أن «سامانتا» لم تنس أيضًا التعبير الذي ارتسم على وجه «آدم» عندما خلط بينها وبين «ليزا». كان منزل «ليزا» يقع في ضاحية جميلة راقية، تكتنفها الأشجار من كل جانب، ووقفت «سامانتا» أمام الباب الأمامي للمنزل الأنيق الذي تقيم به أختها، وقرعت جرس الباب، ولمّا لم تتلقّ ردًا، فقد اتجهت إلى الحديقة الخلفية، حيث وجدت «ليزا» وزوجها يجلسان متلاصقين في استرخاء تام. نظرت «سامانتا» إليهما، وهي تحدّث نفسها بأنه شيء جميل حقًا أن يجلسا على هذه الصورة بعد ثلاث سنوات من الزواج، وانتابها في هذه اللحظة شعور أشبه بالغيرة، واتجهت «سامانتا» ناحيتهما، ولكنّها توقّفت في ارتباك شديد، فقد اكتشفت أنّ الرجل الذي يجلس إلى جانب «ليزا»، واضعًا ذراعه حول كتفيها، لم يكن زوجها، وفوجئت «ليزا» بوجود أختها، ولكنها تمالكت نفسها سريعًا وقفزت واقفة، وأخذت «سامانتا» بين ذراعيها في سرور

واضح وهتفت:

– «سام» يا لها من مفاجأة جميلة، لكن لماذا لم تبلغيني بمجيئك، لقد انتهينا أنا و «روي» للتوّ من تناول الشاي، تعالي واجلسي معنا، وقدّمت «ليزا» الرجل إلى أختها قائلة:

– «سامانتا»، «روي ماذرز» صديق «روبرت»، لقد حضر لرؤيته ولكنه للأسف، سافر «روبرت» إلى «ألمانيا» بمجرّد عودته من «مانشستر»، وشعرت بالملل الفظيع، وتمكّنت بعد جهد من إقناع «روي» بالبقاء معي لتناول الشاي. ثم قدّمت «ليزا» «سامانتا» إلى «روي» الذي مدّ إليها يده مرحّبًا. وهمهمت «سامانتا» ببعض الكلمات ردًا على مجاملته التي وجّهها إليها، وحاولت أن تبدو طبيعية بقدر الإمكان، ثم قالت «ليزا» بمرح:

– تعالي يا «سام»، سأعدّ لكِ بعض الشاي. وجلست «سامانتا»، وسحب «روي» مقعده وهو يجلس، ليبعده قليلاً عن مقعد «ليزا»، وردّت «سامانتا» بسرعة:

– لا، شكرًا يا «ليزا»، لن يمكنني البقاء طويلاً، فقد كنت في طريقي من المستشفى، وأردت الاطمئنان عليك، حاولت الاتصال بك هاتفيًا مرّتين، ولكنني لم أتلق ردًا. وردّت «ليزا» وهي ترفع فناجين الشاي:

– ربما كنت بالخارج، وكيف وجدت الرجل المسن؟

– تقصدين العم «إدوارد»؟ قالت «سامانتا» ذلك في لهجة جافة، وكانت تشعر بالاستياء من موقف أختها، حقًا، لكلّ منهما طريقتها الخاصة في الحياة، وفي التعامل مع الناس، ولكنها شعرت بأنّ الهوّة تزداد اتّساعًا بينهما، وأجابت «ليزا» في تهكم:

– نعم يا عزيزتي، العم «إدوارد». ثم نظرت إلى «روي» قائلة:

– أختي «سام» تعمل في مدرسة إعدادية، ومديرها موجود حاليًا بالمستشفى.

وردت «سامانتا»:

– لقد تحسّنت صحته قليلاً، ولكنه يبدو في حالة شديدة من الإعياء، والآن يجب أن أذهب فورًا، فلديّ الكثير لأفعله، وقد حضر المدير الجديد.

وسألت «ليزا» في لهجة باردة إلى حدّ ما:

– هل حضر حقًا؟ وكيف وجدته؟

– لم أتمكن بعد من معرفته. ودّعت «سامانتا» أختها، ورفضت أن تسمح لها بتوصيلها إلى السيارة، فلم تشعر برغبة في الانفراد بها في هذه اللحظة بالذات، لقد أبلغتها بحضور «آدم» وهذا هو المهم. وانتاب «سامانتا»، وهي تقود سيارتها عائدة إلى المدرسة، شعور بالقلق الشديد تجاه «ليزا». حقًا إنها حرّة في تصرفاتها الشخصية، ولكنها كانت تأمل أن تدرك أختها مدى خطورة هذه التصرفات، فهي تعرف تمامًا أن زوجها «روبرت» أبعد ما يكون عن التساهل بالنسبة إلى سلوك زوجته. لابد من أن تكون «ليزا» غبية حين تجازف بحياتها بهذه الطريقة، وتنهّدت «سامانتا» وهي تحاول إقناع نفسها، بأنها ربما تكون متحفظة أكثر من اللازم، وحاولت التخلّص من أفكارها، والتركيز في قيادة السيارة، وعند عودتها إلى المدرسة، كان أول من رأت «كريستين فيليبس» المشرفة الصحية بالمدرسة، وقد عادت من العطلة لتوّها، وكانت تصطحب ابنها الصغير «جيمس»، الذي التحق بالمدرسة لأول مرة في الخريف السابق. ورحبّت «سامانتا» بهما، وداعبت «جيمس» قائلة:

– لم يحضر أحد من أصدقائك بعد يا «جيمس»، ستمرح كما تشاء بمفردك.

ونظر «جيمس» إلى أمه، ثم إلى «سامانتا» متسائلاً:

– وهل يمكنني الدخول إلى المعمل؟

– ليس هناك ما يمنع إذا وافقت والدتك. قالت «سامانتا» ذلك، ونظرت

إلى أمه تسألها:

– هل يمكنه ذلك يا «كريستين»؟ وردّت «كريستين» قائلة:

– إن «جيمس» تلقّي هدية في عيد ميلاده، عبارة عن بعض الأدوات الخاصة بالمعمل، ومنذ ذلك الوقت وهو متشوّق إلى رؤية المعمل، ودراسة العلوم. وربتت رأس «جيمس» بحنان وهي تقول:

– نعم. يمكنك أن تذهب بعد أن تعدني بألاّ تلمس شيئًا هناك. وبعد ذهابه التفتت «كريستين» إلى «سامانتا»، وأخذت تسألها عن الأحوال في المدرسة. فاصطحبتها «سامانتا» إلى غرفة المكتب، وأخذت تقص عليها الأحداث التي وقعت في أثناء العطلة المدرسية، وقالت «كريستين»، وقد ظهر الأسف واضحًا، على وجهها بعد معرفتها بمرض العم «إدوارد»:

– كنت أشعر في الفترة الأخيرة أنّ صحته ليست على ما يرام.

– على أية حال زال الخطر على ما أعتقد.

– وماذا عن المدير الجديد المنتدب، هل تعتقدين أنه الرجل المناسب؟

ولوت «سامانتا» شفتيها وهي تقول:

– بودّي لو أعرف ذلك، إن العم «إدوارد» يقدّره كثيرًا، إنه يبدو دقيقًا في عمله، كما أنه ذكي جدًا ولكنه ليس كما توقعت، فهو أصغر كثيرًا مما كنت أعتقد. واستطردت «سامانتا» ردًا على تساؤلات «كريستين»:

– على الرغم من أن ثقافته أكاديمية، إلاّ أنه يبدو على العكس من ذلك.

وسكتت للحظة قبل أن تستطرد قائلة:

– هناك شيء آخر، لقد طلب منّي أن أبلغ الجميع بلباقة، أنه حضر إلى هنا بغرض العمل فقط، وليس لإقامة علاقات شخصية مع المدرّسين.

وشهقت «كريستين» وهي تقول:

– يا إلهي، هل هذا الرجل إنسان؟

– أعتقد... أنه إنسان قالت «سامانتا» ذلك وهي تسترجع في ذهنها نظرات «آدم» إليها، ولمسة يده لذراعها عندما كادت تسقط في القبو، وأضافت «سامانتا»:

– إنه يفسّر هذا الموقف الغريب بانشغاله في تأليف أحد الكتب، وليس لديه وقت لمثل هذه العلاقات الاجتماعية. وبدا الاهتمام على «كريستين»، واستطردت «سامانتا»:

– لم يقل لي ذلك بنفسه، ولكن العم «إدوارد» أخبرني بذلك، عندما قمت بزيارته في المستشفى، وفهمت أيضًا أن «آدم رويل» يتمتّع بجاذبية خاصة عند النساء، فالفتيات يَحُمْن حوله مثل الفراشات حول ضوء الشمعة.

ولوت «كريستين» شفتيها في استياء وهي تقول:

– يبدو لي أنه شخص مغرور، لماذا يعتقد أننّا جميعًا سنقع تحت سحره؟ لا أعتقد أن أحدًا هنا سيحوم حوله. وردّت «سامانتا» في لهجة بدت جادّة جدًا:

– ولكن لا يمكن أن تثقي بذلك، إذ يبدو أن السيدة «كمبل»، قد أخذت بسحره بالفعل، فقد ارتدت أحسن ثيابها وهي تقدّم إليه العشاء أمس.

وانفجرت الاثنتان في الضحك، وقالت «كريستين» مازحة:

– يجب أن تكوني على حذر، فسيكون عليك تقديم كشف حساب بتصرفاتك إلى «ريتشارد» عند عودته، أما بالنسبة إليّ... وتوقفت «كريستين» قليلاً، ثم قالت وقد اندفع الدم فجأة إلى وجنتيها:

– عندي أخبار مدهشة لكِ يا «سامانتا»، لقد قررت الزواج مرّة أخرى.

واندفعت «سامانتا» تهنئ «كريستين» في مرح بالغ، وأخذت تسألها عن تفاصيل هذه المسألة، فأجابتها «كريستين»:

– إنه مهندس، يدعى «هيغ غاريت»، يعمل في «برمنغهام»، وقد توفيت

زوجته منذ ست سنوات، ولديه ولدان يكبران «جيمس» قليلاً، وكانت شقيقته تقيم معه للعناية بهم، ولكنّها ستتزوج قريبًا. وسألتها «سامانتا» عن موقف «جيمس»، فأجابت بأنه لا يبدو سعيدًا بهذه الفكرة، وسألت «سامانتا»:

– ومتى تنوين الزواج؟ فردّت «كريستين»، وقد انتابها شعور بتأنيب الضمير:

– ربما يكون ذلك في شهر حزيران (يونيه) المقبل، هل يمكنك أن تجدي أحدًا ليحل مكاني؟ خاصة في هذه الظروف التي تمر بها المدرسة. وشعرت «سامانتا» باليأس، فالعم «إدوارد» بالمستشفى، وها هي «كريستين»، تعتزم الذهاب أيضًا، ولكنها قالت:

– بالطبع، يمكنك مغادرة المدرسة في أي وقت، ولكن هل يمكنك الاستمرار في العمل إلى أن أجد من يحلّ مكانك؟ وسأبدأ فورًا في البحث عن شخص آخر، وأترك للسيد «رويل» مذكّرة بذلك... على أية حال أنا سعيدة جدًا بهذه الأخبار. وبعد مغادرة «كريستين» للغرفة، جلست «سامانتا» تكتب المذكرة، واتجهت بعد ذلك لتضعها على مكتب المدير، وبينما هي تضعها لمحت مغلّفًا معنونًا باسمها، أخذته «سامانتا»، ووجدت به ورقة صغيرة يبلغها فيها «آدم»، بأنه اضطر إلى العودة إلى كوخه الصغير، لإحضار بعض الأوراق التي تلزمه في أبحاثه، وأنه سيعود في الصباح الباكر، ونظرت «سامانتا» إلى خط «آدم». كان خطّه يعّبر تمامًا عن شخصيته التي تتفجر بالرجولة والثقة بالنفس، وتركت «سامانتا» الغرفة، وفي طريق عودتها كوّرت الورقة في يدها، وقذفت بها في سلة المهملات، لكن لدهشتها ولسبب لا تعرفه، وجدت «سامانتا» نفسها تعود لتبحث عن الورقة، وتحاول أن تفرد ثناياها من جديد؛ لتضعها بعناية شديدة في جيب سترتها.

www.rewity.com

- 4 -

بدأت الحياة تدبّ من جديد في المدرسة صباح يوم الاثنين، وبدت السيدة «كمبل» منهمكة تمامًا وهي تقوم بالإشراف على عملية التنظيف، وفي الساعة العاشرة والنصف، كانت «سامانتا» تجلس في المكتبة، عندما وصلت الآنسة «بيلي» والسيد «جونز» معًا في سيارة أجرة، وأخذت «سامانتا» تراقبهما من النافذة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة. كان السيد «جونز» طويل القامة إلى درجة كبيرة، وكان منظره طريفًا وهو ينحني بشدّة صوب راحة يده ليحصي النقود، قبل إعطائها للسائق نظرًا لقصر نظره. أما الآنسة «بيلي» فكانت دقيقة الحجم مجعدة الشعر، وكانت تدفع برأسها من آونة لأخرى داخل السيارة لإحضار متاعها، وغادرت «سامانتا» المكتبة وذهبت للترحيب بهما، وكان السيد «جونز» يعطي النقود للسائق عندما اندفعت الآنسة «بيلي» تقول:

– لا يا سيد «جونز»، يجب أن أدفع نصيبي من الأجرة. وأخذت «سامانتا» تنظر إلى هذا المشهد الطريف، فقد كانت الآنسة «بيلي» تحاول بطريقة عصبية، دفع قطعة من النقود في يد السيد «جونز» وأخيرًا انتهى المشهد، وقالت الآنسة «بيلي» وهي تدلف من باب المدرسة:

– وأنتِ يا آنسة «غولد»، كيف حالك؟ وكيف حال كل شيء في هذا المكان العزيز؟ وأخذت الآنسة «بيلي» تنظر بإعزاز إلى مبنى المدرسة القديم، فقد التحقت بالعمل بالمدرسة منذ أنشأها العم «إدوارد»، وبينما تمّ وضع الأمتعة في البهو، أبلغتهما «سامانتا» بمرض العم «إدوارد» وحضور «آدم» ليحلّ مكانه، وظهر الاستياء واضحًا على وجه الآنسة «بيلي» وهي تقول:

– شخص غريب هنا في المدرسة، مسكين السيد «بارنز». وسكتت لحظة،

ثم سألت:

– هل هو شخص لطيف؟ ومتى يمكننا رؤيته؟ وانتبهت «سامانتا» إلى حقيقة مهمة، فقد اعتاد العم «إدوارد» دعوة المدرسين إلى تناول القهوة والفطائر مساء اليوم السابق على بدء الدراسة، ولكنها لا تعرف موقف «آدم» من هذه المسألة، وربما كان من الأفضل أن تسأله بمجرد عودته، وفي هذه اللحظة، سُمع في الخارج صوت محرك يزمجر بطريقة صاخبة، ونظر الجميع عبر الباب ليروا دراجة بخارية ضخمة تسير على الممر لتقف أمام الباب، وهتفت الآنسة «بيلي»:

– يا إلهي، إنها الآنسة «ترامب». وهبطت الآنسة «ترامب» من فوق الدراجة، وكانت ترتدي قلنسوة، ورفعت يدها تحيي الجميع في بشاشة، وارتفع صوتها الأجش وهي تقول مشيرة إلى دراجتها:

– كيف حالكم جميعًا؟ وما رأيكم في كنزي الجديد؟ أليست جميلة؟ وهمهم السيد «جونز» ببعض الكلمات ودلف إلى المبنى، فقد كان من الطراز الهادئ الذي لا تعجبه شخصية الآنسة «ترامب» القوية. واقتربت الآنسة «ترامب» من الباب وهي تنزع القلنسوة، وقد بدا شعرها قصيرًا فاتح اللون، وقالت مرحّبة:

– أهلاً يا «أليسون»، أهلا يا «سامانتا»، هل حضر أحد من الأطفال بعد؟ وأخذت تسأل فورًا عن أخبار المدرسة، واندفعت الآنسة «بيلي» تقصّ عليها التطورات التي حدثت وهي تقول:

– أوه يا «سيسيلي»، تصوّري لقد حضر إلى المدرسة مدير جديد، مسكين السيد «بارنز»، إنه في المستشفى. واتسعت عينا الآنسة «ترامب» قليلا وهي تقول في لهجة دارجة كانت تستخدمها كثيرًا:

– يا للهول! إنه لتغيير كبير حقًّا. ووضعت الآنسة «بيلي» يدها في

ذراع الآنسة «ترامب»، وصعدت معها إلى غرفتها؛ لتقص عليها تفاصيل ما حدث، وأخذت «سامانتا» تراقبهما، وهما تصعدان درجات السلم وتتحدثان، يالهما من نقيضين! الآنسة «بيلي» بصوتها الرقيق، والآنسة «ترامب» بصوتها القوي الأجش، ولم تستطع «سامانتا» أن تمنع نفسها من التساؤل عمّا سيكون موقف «آدم رويل» منهما. كانت «سامانتا» تحب الآنسة «ترامب» والآنسة «بيلي»، والجميع في المدرسة كما سبق أن قالت لـ «آدم»، يشكلون مجموعة متفاهمة تمامًا، وشعرت بالقلق، فقد تعوّد الجميع أن يُشركوا العم «إدوارد» في مشاكلهم الصغيرة، الذي كان دائمًا متفهّمًا لها، ولكنها لا تعتقد أن «آدم رويل» سيظهر مثل هذا التفهم، وتنهّدت «سامانتا» وهي تتجه إلى حجرتها، وتمنّت لو أن شيئًا من هذا لم يحدث، وبعد حوالي نصف الساعة عاد «آدم» إلى المدرسة، وكانت بصحبته فتاة، ودخلا إلى الحجرة حيث تجلس «سامانتا»، وقال «آدم»:

– أهلاً «سامانتا»، هل كل شيء على ما يرام؟ لقد اصطحبت صديقة معي.

وقال متلفتًا إلى الفتاة التي كانت تقف إلى جواره:

– أقدّم إليك «سامانتا غولد» سكرتيرة المدرسة. ثم استطرد مشيرًا إلى الفتاة:

– وهذه «أستيل نورتون»، هل يمكننا دعوتها إلى الغداء؟ وردّت «سامانتا» بصوت خافت وهي تمدّ يدها إلى الفتاة مرحّبة:

– بالطبع، أهلاً آنسة «نورتون». كانت الفتاة ممشوقة القوام ذات شعر باهت اللون، رقيقة إلى درجة كبيرة، وترتدي نظارة داكنة، ورداء من التويد الأزرق الفاتح، ونظرت الفتاة إلى «سامانتا» دون اهتمام وهي تتجه إلى النافذة، وقالت:

– لا تهتم بي كثيرًا يا «آدم»، إذا كان لديك ما يشغلك، يمكنني الاعتماد

على نفسي. ونظر إليها «آدم»، وقد رفع حاجبيه قليلاً، كما لو كان كلامها قد أعجبه، ثم التفت إلى «سامانتا» قائلاً:

– هل هناك شيء عاجل؟ وما الأخبار في المدرسة.؟

– لقد عاد جميع المدرسين الذين يقيمون بالمدرسة. واستطردت تقصّ عليه الأخبار الأخرى، ثم توقفت لحظة، وقد بدا عليها التردد، ثم بدا وكأنها قد اتخذت قرارًا فقالت:

– لقد اعتاد السيد «بارنز»، أن يجتمع بالمدرسين في مثل هذا اليوم؛ لتبادل الرأي قبل بدء الدراسة، ولا أدري إذا كنت ظننت أنك ربما لا... وسكتت «سامانتا» فردّ «آدم» قائلاً وهو يبتسم:

– أنت على حق، إنني لا أعترض على هذه الفكرة، وربما كانت فرصة أيضًا لإذابة الجليد بيننا ورؤية الجميع. لكن هل يمكن إعداد اللازم للاجتماع؟

– بالطبع، فإن السيدة «كمبل» تعوّدت إعداد عدد كاف من الفطائر دائمًا في مثل هذا اليوم.

– حسنًا، لا يمكن أن نغضب السيدة «كمبل»، أليس كذلك؟ سأكون كبش الفداء هذا المساء. والتفت إليها بنظرة جانبية من عينيه الداكنتين، ثم قال لها:

– سأعتمد عليك لمساعدتي في هذا الموقف إذا اقتضى الأمر، إنّ هذا واجب الزوجة الذكية، أو السكرتيرة الذكية. قال «آدم» ذلك، والتفت إلى الفتاة قائلاً:

– أليس كذلك يا «أستيل»؟ والتفتت الفتاة في رشاقة مصطنعة، وقالت في دلال:

– أنت على حقّ دائمًا يا «آدم».

– حسنًا قلت يا عزيزتي. والتقت نظراتهما في تحدٍّ ودّي. كان من الواضح أن المعرفة بينهما وثيقة، وشعرت «سامانتا» بضيق لم تدر سببه، كانت تأمل ألاّ يحاول «آدم» أن يصحب صديقاته إلى المدرسة دائمًا، وخاصة إذا كن من طراز «أستيل» التي لم تشعر بأي ميل نحوها، واتجه «آدم» صوب «أستيل»، ووضع ذراعه في ذراعها وهو يقول:

– تعالي الآن، سأريك مملكتي، وسنمر على المطبخ أولاً، لنرى ما إذا كانت السيدة «كمبل» يمكنها أن تقدّم إلينا شيئًا قبل أن أوصلك إلى المحطة.

وتذكرت «سامانتا» في هذه اللحظة، قول العم «إدوارد» أن «آدم» سيتزوّج عندما يجد الفتاة المناسبة. حسنًا، إذا كانت «أستيل» هي الفتاة المناسبة، فإنه يستحق ذلك بالفعل. أخذت «سامانتا» تحدّث نفسها بذلك، ثم انتبهت إلى رد الفعل العنيف، الذي أحدثه لقاؤها بـ «أستيل»، فهذه هي المرّة الأولى التي لا تشعر فيها بالميل لمن تقابله لأول مرة، ولم تر «سامانتا» «أستيل نورتون» بعد ذلك في خلال اليوم، منذ ذهبت مع «آدم» على ما يبدو إلى غرفته، حيث تناولا طعام الغداء، وعندما لاحظت «سامانتا» بعد قليل اختفاء سيارة «آدم» التي كانت تقف أمام المدرسة، شعرت بنوع من الارتياح. كانت فترة ما بعد الظهر مزدحمة بالعمل بالنسبة إلى «سامانتا»، فقد كان عليها الاتصال هاتفيًا بالمدرسين غير المقيمين بالمدرسة؛ لحضور الاجتماع مع «آدم رويل»، وقد اعتذر «تيري ريد» مدرّس التربية الرياضية، لارتباطه بالتدريب في نادي «الاسكواش المحلّي»، أما المدرسات الثلاثة الأخريات فقد قبلن الدعوة، وعندما اتصلت «سامانتا» بالآنسة «ماسون» مدرّسة الموسيقى، جاءها صوتها المتحمس يقول:

– بالطبع سأحضر، فإنني أتوق إلى رؤية الرجل الجديد. كانت «إميلي ماسون» شابة جميلة، ولكن «سامانتا» كانت تشك في أنّ «آدم رويل»

سيؤخذ بجمالها، بينما لم يكن يخالجها الشك في أن «أستيل نورتون» هي طرازه المفضل من الفتيات، ولم ينقطع رنين الهاتف في مكتب السكرتارية، فقد كان أولياء أمور التلاميذ يريدون الاستفسار عن بعض الأمور، وخاصة إمكانية رؤية المدير الجديد، وكان هذا شيئًا طبيعيًا بالنسبة إلى مدرسة صغيرة مثل «كينغز ورثي»، حيث كانت شخصية المدير شيئًا مهمًا، وقد حاولت «سامانتا» بقدر الإمكان أن تطمئن الأهالي إلى أنّ كل شيء سيمضي وكأن السيد «إدوارد» هو الذي يدير المدرسة. ودخلت «كريستين» في أثناء انشغال «سامانتا» بإحدى هذه المكالمات الهاتفية، وقد حملت فنجانًا من الشاي إليها، وابتسمت وهي تقول:

– كيف الحال يا «سامانتا»؟ وأين هو الرجل الجديد؟ لم ألمحه بعد.

– لقد عاد، ولكنه ذهب ليوصل فتاة بسيارته إلى المحطة. وظهر الاهتمام واضحًا على وجه «كريستين» وهي تقول:

– حقًا، وما شكلها؟

– تبدو عادية تمامًا، ولكنها ذات دلال واضح، إن مظهرها لم يؤثر فيّ كثيرًا. وشعرت «سامانتا» بنوع من تأنيب الضمير، فقد كانت تعرف أنها لا تقول الحقيقة، وردّت «كريستين» قائلة:

– آمل أن يعود في الوقت المناسب ليرحّب بضيوفه، فالجميع يتحدثون عن المدير الجديد، أما السيد «جونز»، فإنه التزم غرفته ولم يشترك في أي حديث على الإطلاق، وأعتقد أنه سيفتقد السيد «بارنز» أكثر من أي شخص آخر. وهزّت «سامانتا» رأسها موافقة وهي تقول:

– نعم، السيد «جونز» رجل نابغة، ما كان له أن يعمل بالتدريس هنا، وكان من الأفضل له لو استمرّ في الجامعة. وأخذتا تتجاذبان أطراف الحديث، ثم نهضت «كريستين» وهي تقول لـ «سامانتا»:

– لن أطيل الحديث معك؛ لأنني أعرف أنك مشغولة، سأراك وقت العشاء، وربما نرى السيد «رويل» المغرور أيضًا. ولكن «رويل» لم يحضر في وقت العشاء، وعندما سألت «سامانتا» السيدة «كمبل» عنه، أجابت بأنها لم تره منذ ذهبت إليه بطعام الغداء هو وصديقته في غرفته، ولاحظت «سامانتا» مظاهر الاستياء على وجهها وهي تقول ذلك، فودّت لو عرفت منها لماذا لم تعجب بـ «أستيل نورتون» وبعد فترة قالت السيدة «كمبل»:

– إن الطاهية تسأل: هل عليها أن تحمل الفطائر إلى غرفة المدير كما كانت تفعل مع السيد «بارنز»؟

– نعم، أعتقد ذلك. أجابت «سامانتا» وهي تود لو أن «آدم» كان موجودًا ليقرر ذلك بنفسه، ولكنّها تذكرت قوله لها بأنه يمكنه الاعتماد عليها، فالتفتت إلى السيدة «كمبل» قائلة:

– انتظري، أعتقد أنه من الأفضل أن يكون الاجتماع في غرفة الطعام، هل توافقين على ذلك؟

– نعم يا آنسة «غولد»، سأذهب لمساعدة الطاهية قبل عودة السيد «رويل»، ودقت الساعة السابعة والنصف ولم يحضر «آدم»، وجلس الجميع في غرفة الطعام يتجاذبون الحديث في انتظار وصوله، و وجدت «سامانتا» نفسها تقوم بدور المضيفة، وحاولت أن تعتذر عن تأخر «آدم» قائلة إنه سيحضر في الحال، ولكن ذلك لم يحدث، فبدأت تشعر بالقلق الشديد. لا يمكن أن يكون «آدم» قد نسي كل شيء عن أمر هذا الاجتماع، ولابد من أن شيئًا ما قد حدث، وأخذت تسأل نفسها، ماذا تفعل؟ هل تطلب الشرطة؟ أو تسأل في المستشفيات إن كان ثمة حادث وقع؟ ولكنها تردّدت كثيرًا في اتخاذ مثل هذا الإجراء، وانتهزت «سامانتا» فرصة انشغال الجميع بالحديث عن ذكريات العطلة، واتجهت إلى غرفة «آدم»، وطرقت الباب برفق، ولما لم

تتلق ردًا عادت إلى غرفة الطعام، وقد ازداد شعورها بالقلق، وبينما هي في حيرتها جاءت السيدة «كمبل»، وأمسكت ذراعها برفق وهي تجذبها جانبًا، وتقول بصوت خافت:

– آنسة «غولد»، هل يمكنك الحضور فورًا؟ لقد عاد السيد «رويل»، وهو يطلب رؤيتك. وازداد شعور «سامانتا» بالقلق وهي تنظر إلى السيدة «كمبل»، وتبعتها وهي تسأل عمّا حدث.

– لا أدري تمامًا يا آنسة «غولد»؟ ولكن مظهره يبدو فظيعًا. وعندما دلفت «سامانتا» إلى غرفة الجلوس حيث كان «آدم» جالسًا، وقد تدلّي رأسه وتهدّل شعره الفاحم على وجهه الملوث بالأقذار، كان يبدو بالفعل فظيعًا. وتمالكت «سامانتا» أعصابها، كما هو الحال معها دائمًا في مثل هذا المواقف، وعلى الرغم من أنها هلعت لدى رؤيتها لـ «آدم» على هذه الصورة، إلاّ أنها سرعان ما استعادت هدوءها، وجلست على المقعد المجاور له، ووضعت يدها برفق على ذراعه اليسرى دون أن تقول شيئًا، ورفع «آدم» رأسه فرآها، وأمسك بيدها بقوّة، فاقتربت «سامانتا» منه وهي تقول بلطف شديد:

– هل أحضر المشرفة الصحية؟ وهزّ «آدم» رأسه رافضًا دون أن ينظر إلى أعلى، فالتفتت «سامانتا» إلى السيدة «كمبل» التي كانت تقف بالباب، وقالت:

– أرجوك لا تقولي شيئًا عن هذا الموضوع الآن. وانتظرت السيدة «كمبل» لحظة، وهي تحملق إلى رأس«آدم» المدلّى، ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها، وجلست «سامانتا» إلى جانب «آدم» في هدوء ويدها مازالت في يده. لم تستطع رؤية وجهه وهي في جلستها، ولكنها كانت ترى جبهته وقد تهدّل شعره عليها، وتملكتها رغبة شديدة في أن تربت شعره، وأخيرًا رفع

«آدم» رأسه وهو يقول معتذرًا وقد ازداد وجهه شحوبًا:

– آسف لما حدث. وردّت «سامانتا» بلطف:

– لكن ماذا حدث؟ هل تفضّل ألا تتحدث عن ذلك؟

– لقد فوجئت بطفلة تخرج من أحد الأكواخ بسرعة وتندفع أمام السيارة. وأغمض عينيه بشدّة، وكأنه يرى كل شيء يحدث من جديد، ثم استطرد بعد فترة:

– حاولت تفاديها وانحرفتُ بالسيارة بشدة، فانقلبت في إحدى الحفر. ولم تستطع «سامانتا» أن تمنع نفسها من أن تسأل في جزع:

– والطفلة؟

– شكرًا لله، فقد أمكنني تفاديها في اللحظة الأخيرة. وأعقب ذلك فترة من الصمت العميق قطعها «آدم»، وبدا عليه وكأنه يبذل جهدًا في الحديث وقال:

– وماذا عن الحفل يا «سامانتا»؟ هل أفسدت أنا كل شيء؟ وأشارت «سامانتا» بيدها بما يعني أن هذا لايهمّ، وقالت:

– لقد أقمنا الحفل في غرفة الطعام لحسن الحظ، والجميع يتناولون القهوة الآن وهم يستعيدون ذكريات العطلة.

– لا يفوتك شيء يا «سامانتا». وشعرت «سامانتا» وهو يقول ذلك بيده تضغط على يدها، وسألت «سامانتا»:

– هل تريد منّي أن أصرف الجميع؟ يمكنني ذلك دون أي حرج. ورفعت إليه وجهها مبتسمة وهي تقول:

– تعرف أنّني أتمتع باللباقة! والتقت نظراتهما وهو يتمتم:

– أعرف ذلك. وشعرت «سامانتا» بأنها لا ترغب في أن تبعد عينيها عن عيني «آدم» النفّاذتين، وشعرت بالأرض تميد تحت قدميها، وبدا كل

شيء في الغرفة، وكأنه يتراقص أمام عينيها. كل شيء تغيّر فجأة كأنها في حلم، ولكنها أفاقت إلى صوت «آدم» وهو يقول:

– إنني أُفضّل الذهاب إلى الحفل. وبدا عليها الارتباك، وقد تذكّرت فجأة أمر الحفل، وتساءلت في صوت بدا غريبًا لها:

– تستطيع ذلك حقًا؟ هل تشعر بأنك بخير؟ ورد «آدم» بالإيجاب،وبعد فترة قال وهو يهزّ رأسه، كمن يريد أن يطرد الذكرى المؤلمة:

– لقد هزّني منظر الطفلة، هذا كل ما في الأمر. وترك يدها تسقط من يده، فانتابها شعور للحظة بأنها ضائعة، وقال مازحًا:

– هل أبدو في مظهر لائق؟ أم أنّ مظهري يوحي بالفعل بما حدث؟ وبذلت «سامانتا» جهدًا كبيرًا لتعود إلى طبيعتها، وتتمكن من التجاوب معه في هذا الحديث، ونظرت إليه وهي تتفحصه، وقالت:

– أعتقد أنه يجب أن تعدل قليلاً من مظهرك. فنهض «آدم» واقفًا وهو يقول:

– إذًا تعالي لتساعديني، ستكونين وصيفتي إلى جانب كونك سكرتيرتي. وخرجا معًا، واتجها إلى غرفة نومه، حيث مسح عن وجهه الأقذار، وهذّب شعره وأخذت «سامانتا» تتلفت حولها، وقد انتابها شعور غريب. كانت المرّة الأولى التي تدخل فيها بصحبة رجل إلى غرفة نومه، وأفاقت «سامانتا» من أفكارها، وشعرت بأنّ الأمر يبدو طبيعيا، بالنسبة إلى الظروف الحالية، وصمّمت على مقاومة انفعالاتها. أخذت «سامانتا» تساعد «آدم» على تنظيف ثيابه، وركعت على ركبتيها لتتمكّن من تنظيف سرواله من الأوحال اللاصقة به، وعندما انتهت من ذلك، نظرت إلى أعلى، وقد ظهر المرح في عينيها وهي تقول:

– مكان المرأة الطبيعي على ركبتيها أمامك، أليس هذا هو رأيك؟ فانفجر

www.rewity.com

«آدم» ضاحكًا وهو يقول:

– لكن هذا لا ينطبق عليكِ، فإنكِ لن تخضعي أبدًا لرجل. قال ذلك وهو يمدّ يديه ليساعدها على الوقوف، وشعرت «سامانتا» للحظة بأنها تكاد تلتصق به، ثم قال بصوت رقيق:

– شكرًا يا «سامانتا»، والآن هيّا إلى الحفل، وأرجوك أن تحاولي الاعتذار عن تأخري بأي سبب، فإنني لا أريد التحدث عمّا حدث الليلة على الأقل. وبدا عليه التفكير وهو يقول:

– لا أعرف ما إذا كانت «أستيل» قد لحقت بقطارها، فقد وقع الحادث في أثناء توجهنا إلى المحطة، كانت سعيدة الحظ، فلم يحدث لها أي شيء، ولم تتأثر بما حدث، وتمكّنت من إيقاف إحدى السيارات لتأخذها إلى البلدة، أما أنا فقد كان عليّ أن أنتظر رجال الشرطة، وما إلى ذلك في مثل هذا الموقف. وقالت «سامانتا» وهي تحدّث نفسها، ربما كان «آدم» يفسّر موقف «أستيل» بأنه برود أعصاب، ولكنها كانت تعتقد أنه ينطوي على القوة، وتمنّت «سامانتا» في هذه اللحظة ألاّ تحضر «أستيل» إلى المدرسة مرّة أخرى، فقد شعرت بأن ظهورها من جديد على مسرح الأحداث، سيؤثر في الاستقرار الذي كانت ترجو أن تحققه في المدرسة في أثناء فترة تغيّب العم «إدوارد»، واتجهت «سامانتا» و «آدم» بعد ذلك إلى غرفة الطعام، حيث يوجد الجميع، وبدا واضحًا منذ البداية أن «آدم» حاز إعجاب الجميع، وخاصة الجنس اللطيف، ولاحظت «سامانتا» النظرات المختلسة التي كانت المدرّسات ينظرن بها إلى «آدم»،وهو يقف إلى جانب النافذة يتحدّث مع السيد «جونز»، وقالت «كريستين» التي كانت تقف إلى جانب «سامانتا»:

– أرى الآن ماذا كنت تعنين بجاذبيته التي لا تقاوم. ونظرت «سامانتا» إلى

الجمع حولها، لقد نجح «آدم» في الظفر بإعجاب المدرسات دون استثناء، وقد بدا عليهن الانفعال والمرح، ووجدت «سامانتا» نفسها تبتسم، وهي ترى التأثير الذي أحدثته شخصية «آدم» في هذا الجمع من النساء، لكن ألم تتأثر هي أيضًا بشخصيته؟ واعتذر «آدم» وأبدى رغبته في الانسحاب، وتوقف قليلاً أمام «سامانتا» وهو يخرج من الغرفة قائلاً:

– أرجوك أن تمرّي عليّ في جناحي، فإنني أريد التحدّث معك. وانسحبت «سامانتا» بعد قليل معتذرة بأن لديها عملاً تريد إنجازه، واتجهت إلى مكتبها، فقد شعرت برغبة شديدة في الانفراد بنفسها قليلاً، واستغرقت في تفكير عميق . إنها لن تسمح لـ «آدم» بالتأثير فيها، ولن تسمح لنفسها بالتعلّق به، فهي تعرف بعد ما سمعته من العم «إدوارد» و «ليزا»، بأنه من الطراز الذي يوصف بمعبود النساء، وهذا الطراز لايفكّر في الزواج، ولن تكون أبدًا من حريم «آدم رويل»، وصممت «سامانتا» على أن تستمرّ العلاقة بينها وبين «آدم» علاقة المدير بالسكرتيرة، وعليها أن تهتمّ بعملها وتشغل نفسها بالتفكير في «ريتشارد»، وعند هذا الحد من تفكيرها وقفت «سامانتا» واتجهت إلى جناح «آدم»،وطرقت الباب فسمعت صوته من الداخل يطلب إليها الدخول. كان «آدم» يجلس في استرخاء تام على مقعده المريح، ويرتدي روبًا قرمزي اللون، وقد خلع حذاءه، وعندما دخلت «سامانتا» بادرها معتذرًا، وهو يشير إلى ثيابه:

– آسف لمظهري، لكنني شعرت برغبة في الاسترخاء بعد عناء اليوم. ونظر إليها قائلاً:

– هل تجلسين يا «سامانتا»؟

– شكرًا. ردّت «سامانتا» في لهجة حاولت أن تكون جادّة، ثم سحبت مقعدًا وجلست أمام الطاولة، وبدأ «آدم» الكلام قائلاً:

– أردت أن أشكرك على مساعدتك لي ووقوفك إلى جانبي، ولمّا لم تجد «سامانتا» ما تردّ به، فقد سكتت وأخذت تتصفّح إحدى المجلات الملقاة على الطاولة أمامها، فاستطرد «آدم»:

– أعتقد أن الحفل قد نجح على الرغم من أي شيء، ألا تعتقدين ذلك؟ الآن أعرف ما كنت تعنين بقولك إن الجميع يشكّلون مجموعة مترابطة، إنّ الجوّ هنا يوحي فعلاً بأنه جوّ عائلي. وسألت «سامانتا»:

– وهل يعجبك هذا؟

– تقصدين هل غيّرت من موقفي السابق؟ ونظرت «سامانتا» إلى عينيه، فرأت فيهما بريقًا ضعيفًا وهو يقول :

– أعتقد أنه من الضروري أن أخفف من موقفي قليلاً، إذا كان عليّ أن أقوم بعملي في سهولة إلى حين عودة السيد «بارنز». حقًا إنّ هذه الفكرة لاتروقني، ولكنني أشعر بأنني مدين للسيد «بارنز» بالكثير ولن أخذله ،يبدو لي أنه أكثر من مدير للمدرسة، إنه يقوم بدور الأب أيضًا.

– أعتقد ذلك، لكن ألا ترى أن هذا واجب المدير الكف،؟ فأجاب في لهجة تهكميّة:

– يجب أن أفكر في ذلك، فإن الفرصة لم تتح لي من قبل للقيام بدور الأب، ولا أعتقد أنه ستتاح لي مثل هذه الفرصة لفترة طويلة قادمة. ووجدت «سامانتا» نفسها تتساءل، إذا كان «آدم» قد تعوّد ترديد مثل هذه التحذيرات للفتيات حتى لا يُسئن فهمه، ثم قالت:

– حسنًا، إنني سعيدة لقرارك بتغيير موقفك، وأنا على يقين من أن كل شيء سيمضي بطريقة سهلة.

– كل شيء! لا أعتقد ذلك.

– تقصد بالنسبة إلى الكتاب الذي تقوم بتأليفه، لقد نسيت كل شيء عنه.

وبدا «آدم» مشغول الذهن وهو يتكئ إلى الخلف في مقعده، وقد وضع ساقًا على ساق. كانت «سامانتا» تشعر بعينيه تتفحصانها، ولكنّها صممت على تحاشي النظر إليه، وبعد فترة قال:

– إذا كان عليّ أن أقوم بدور الأب، فلن يكون لديّ وقت فراغ لأعمل في كتابي، وفي هذه الحالة ليس أمامي سوى حل واحد، ولذلك طلبت منك الحضور. ونظرت «سامانتا» إليه نظرة سريعة، لكنّها حوّلت عينيها بعيدًا عندما التقت بعينيه الداكنتين، واستطرد «آدم» يقول:

– الحل هو أن أجد من يساعدني، وأعتقد أنك تتفقين معي في الرأي، على ضرورة القيام بدوري كما يجب كمدير للمدرسة.

– بالطبع أرجو ذلك.

– إذا، ما رأيك في أن تقومي بمساعدتي؟ إنّ الأمر لن يتطلب منك سوى ساعتين في المساء، وبدأت «سامانتا» تشعر بغيوم الخطر وهي تتجمّع أمام عينيها، كانت تشعر بأن الأمر سيكون محتملاً بالنسبة إليها وهي تقوم بعملها كسكرتيرة، لكن أن تقوم بعمل خاص في غرفة «آدم» وبمفردها معه، فهذا شيء آخر تمامًا، وكان «آدم» يرقبها باهتمام، ثم نظر إلى أسفل وهو يقول:

– بالطبع سأدفع لكِ أجرًا إضافيًا. واندفعت «سامانتا» تجيب:

– يا إلهي! أنا لا أريد شيئًا من هذا القبيل، فإنّ راتبي يكفيني.

– إذًا، ما المانع؟ ألا ترغبين في العمل فترة إضافية، أم أن في الأفق شخصًا آخر سيضايقه عملك في المساء؟ وردّت «سامانتا» بالنفي بطريقة حاسمة، فاستطرد قائلاً:

– أليس لديك صديق؟ ثم استطرد بلهجة تشوبها بعض السخرية:

– إنني مندهش من موقفك مني. وشعرت «سامانتا» بأن كبرياءها قد

جرحت، فرفعت إليه وجهها وهي تقول :

– ليس في الأحياء المجاورة.

– إذًا، ليست هناك أية مشكلة. ونظرت «سامانتا» إليه بشيء من العداء وهي تودّ أن تقول له: إن المشكلة تنحصر في أنه جذّاب إلى الدرجة التي تجعلها ترتعد من فكرة وجودها معه بمفردها، وبدلاً من ذلك ردّت قائلة :

– ليست هناك أية مشكلة، طالما لن يتعارض ذلك مع أعمال المدرسة. وظهر الارتياح على وجه «آدم»، فأدركت «سامانتا» مدى أهمية عمله في الكتاب بالنسبة إليه. ثم قال:

– هذا شيء رائع، هل نبدأ غدًا؟ أعرف أن غدًا سيكون يومًا مشحونًا بالعمل لنا جميعًا، ولكن ربما أمكننا أن نفعل شيئًا. ووقفت «سامانتا» وهي تؤكد كلامه، ثم خرجت من الغرفة، واتجهت إلى غرفة نومها. كانت تبدو كمن يمشي في نومه، وصورة «آدم» مازالت أمام عينيها، وظلت تفكر وهي في سريرها إلى أن انتزعها من أفكارها استغراقها في النوم العميق.

– 5 –

بدأ اليوم الدراسي الأول كالمعتاد مكدسًا بالعمل، واستمر توافد التلاميذ وأولياء الأمور إلى المدرسة وازدحم البهو بالأمتعة، وانشغل الجميع بالعمل، وكان «آدم» لايكاد يجد الوقت الكافي، ليشرب فنجان القهوة الذي كانت «سامانتا» تقدمه إليه في مكتبه بين آونة وأخرى. كانت «كريستين» تتولّي أمور التلاميذ والأمتعة، و «سامانتا» تنظّم لقاءات أولياء الأمور بالمدير الجديد، وتتدخل بلباقة إذا لزم الأمر، لإنهاء بعض هذه المقابلات، وأظهر

«آدم» في خلال لقاءاته مع أولياء الأمور قدرة فائقة على إقناعهم بأنّ كل شيء سيمضي في المدرسة في طريقه الطبيعي، كما كانت تسير الأمور بإدارة السيد «بارنز»، وبعد انتهاء اليوم الدراسي، توجّهت «سامانتا» إلى مكتب «آدم»، تحمل له فنجانًا من الشاي وهي تقول:

– يمكنك الآن أن تسترخي، فقد أمكن ترتيب كل شيء، والتلاميذ في غرفهم الآن يفرّغون أمتعتهم، وقد غادر أولياء الأمور المدرسة. ورجع «آدم» بمقعده إلى الخلف قائلاً:

– هذه أنباء طيبة، إن أصعب شيء بالنسبة إلى إدارة مثل هذه المدارس الصغيرة الخاصة، هو اللقاءات مع أولياء الأمور وبخلاف ذلك، كل شيء يبدو سهلاً للغاية. قال «آدم» ذلك بلهجة متعجرفة جعلت «سامانتا» تشعر بأن نواياها الطيبة تجاه «آدم» تنهار، فقالت ببرود:

– هل تعني بقولك أن هذه المدرسة حقيرة؟ والتفت «آدم» ناحيتها حيث وقفت في مواجهته على المكتب وهو يقول:

– هل ستنفعلين من جديد؟ أنت تعرفين ما حدث في المرة السابقة. وشعرت «سامانتا» بالدماء تصعد إلى وجهها، وتذكرت في هذه اللحظة قبضة يده القوية وهي تمسك برسغها لتهدئتها، ولكنها عندما نظرت إليه، لم تر أي أثر للغضب على وجهه هذه المرة، ولكنها لمحت بدلاً من ذلك الضحكات وهي تتراقص داخل عينيه. وقال «آدم» وهو يشرب الشاي:

– شكرًا لإحضارك الشاي، والآن يمكنك أن تطلبي من السيد «جونز» الحضور إلى المكتب في أي وقت، فإنني أريد التحدث معه قليلاً. واتجهت «سامانتا» إلى الباب وهي تردّ في برود:

– نعم يا سيد «رويل». وقبل أن تصل «سامانتا» إلى الباب ناداها «آدم»، وكأنه تذكّر فجأة شيئًا مهمًّا.

– «سامانتا»، ماذا عن المساء؟ متى تحضرين إلى المكتب؟ ووقفت «سامانتا» تفكّر قليلاً قبل أن تجيب:

– ربما يتأخر العشاء الليلة أكثر من المعتاد، وقد لا ننتهي منه قبل الثامنة.

– لكن هل لديك ارتباط بعد ذلك؟ أقصد بالنسبة إلى التلاميذ؟

– لا، فإن هذا لا يدخل في نطاق واجباتي، ولكنني أقدم مساعداتي فقط إذا لزم الأمر. كانت «سامانتا» تقف في منتصف الباب الذي كان مفتوحًا وانعكس الضوء عليها، فبدت صورتها وهي تلبس بلوزة بيضاء وعقصت شعرها الأشقر خلف أذنيها، وانسدل ليصل قرب كتفيها والتفتت فجأة، فرأت «آدم» وقد ثبت عينيه عليها، فانتابها شعور بالخجل، وحوّلت نظرها بسرعة إلى الجهة الأخرى، وساد بينهما فترة صمت حرج قطعته «سامانتا» قائلة:

– هل يناسبك الساعة الثامنة والنصف؟

– نعم، هذا مناسب جدًّا ولن أعطلك طويلاً. وبعد أن خرجت «سامانتا» وأغلقت الباب وراءها، بدا «آدم» شارد الذهن تمامًا ولزمه بعض الوقت، ليمكنه العودة من جديد إلى تصفّح الأوراق أمامه، وعادت «سامانتا» إلى غرفتها، وكانت تجمع بين النوم والجلوس على مقعد مريح، ووضع مكتب صغير بجانب النافذة الكبيرة التي تطلّ على الحديقة الخلفية. جلست «سامانتا» إلى المكتب، وقد شعرت برغبة طاغية في الكتابة لـ «ريتشارد»، ولكنها وجدت صعوبة في ذلك هذه المرّة،فقد كان عليها أن تحدّثه عن أخبارها وأخبار المدرسة وحضور «آدم»، ولم يكن من السهل عليها التعرّض لهذه الأحداث دون التورّط في الحديث عن مرض العم «إدوارد»، ووضعت «سامانتا» الورق جانبًا، بعد أن أقنعت نفسها أنها ستكتب له في اليوم

التالي، واقترب موعد العشاء، فأخذت «سامانتا» تستعدّ له، واختارت ثوبًا جديدًا من الحرير الأزرق الباهت، أظهر بوضوح جمال عينيها الزرقاوين، ووقفت طويلاً أمام المرآة تعدل من زينتها، وتردّدت قليلاً قبل أن تضع بضع نقاط من العطر الرقيق، الذي أهدته لها «كريستين» في عيد الميلاد. وبعد أن نسّقت شعرها بعناية، وقفت طويلًا أمام المرآة لتطمئن على مظهرها، ولكنها أفاقت فجأة وهي تُسائل نفسها: لماذا كل هذا الاهتمام بمظهرها الليلة؟ وكانت «سامانتا» تعرف الإجابة عن هذا التّساؤل، إنه السبب نفسه الذي دعا السيدة «كمبل» إلى ارتداء ثوبها الوردي، والذي أشاع شعورًا بالمرح بين المدرّسات الشابات في الحفل. إنه وجود «آدم رويل»، هذا الساحر محطّم القلوب. وانتبهت «سامانتا» من أفكارها وهي تردد بصوت عال:

– لا، لن يحدث هذا لي. وبعصبية واضحة نزعت عنها ثوبها الأزرق الجديد، وقذفت به على السرير، وارتدت ثوبًا قديمًا. كانت «سامانتا» ترفض أن تخضع مثل غيرها من النساء، لهذا السحر العجيب الذي يشع من عيني «آدم» وشخصيته، وتحب طبيعتها كما هي، وتريد أن تظل الفتاة الباردة المشاعر المستقلة كما كانت «ليزا» تصفها دائمًا، وصمّمت «سامانتا» على أن تظلّ علاقتها بـ «آدم» في أضيق نطاق ممكن، بما يكفل مصلحة المدرسة إلى حين عودة العم «إدوارد». وكان الوقت مازال مبكرًا، فنزلت إلى البهو حيث وجدت الآنسة «بيلي» تقف أمام باب مكتب المدير، وقد عقصت شعرها بعناية أعلى رأسها، وصبغت وجنتيها باللون الأحمر، وما إن رأت «سامانتا» حتى ابتدرتها قائلة:

– لقد كنت أبحث عنك يا آنسة «غولد». ثم سكتت قليلًا وبدا عليها التردد وهي تقول:

– كنت أتساءل إذا كان يمكنني التحدّث إلى السيد «رويل» بشأن العمل؟ هل هو بالداخل؟ وردّت «سامانتا» وهي تحاول أن تجنّب «آدم» مثل هذه المتاعب:

– لست واثقة بذلك. وفي هذه اللحظة فُتح باب المكتب وخرج «آدم»، فاندفعت الآنسة «بيلي» ناحيته وبادرته بالحديث على الفور، ونظر «آدم» إلى «سامانتا» معاتبًا، كأنه يحمّلها مسؤولية توريطه في مثل هذه المتاعب، وقالت الآنسة «بيلي» وهي تبتسم:

– هل يمكننا أن نلقي نظرة إلى جداول ساعات العمل؟ إنها داخل المكتب، وأعدك بأنني لن أعطلك كثيرًا. قالت الآنسة «بيلي» ذلك وهي تتجه إلى داخل المكتب، وتبعها «آدم» وهو يهزّ كتفيه في استسلام. خرجت «سامانتا» إلى الحديقة، حيث وجدت بعض التلاميذ بصحبة «تيري ريد» مدرس التربية الرياضية الذي ما إن لمح «سامانتا» حتى اتجه إليها يحيّها قائلاً:

– أهلا «سامانتا»، لقد حضرت يا عزيزتي، خصيصًا لرؤيتك. ونظرت إليه «سامانتا» وهي تبتسم، كان «تيري» بشعره الأحمر ولون عينيه البني الفاتح من النوع المهزار الذي يحب الغزل، ووقفت «سامانتا» تتجاذب أطراف الحديث مع «تيري» فسألها:

– وماذا عن المدير الجديد؟ وكيف تبدو شخصيته؟ كانت «سامانتا» لاتريد أن يوجّه إليها أحد مثل هذا السؤال، فلم يكن لديها إجابةعنه، فضحكت وهي تقول:

– إنه شاب غير أليف، من الممكن أن يكون صعبًا في بعض الأحيان. وهزّ «تيري» رأسه وهو يقول:

– أعرف ما تعنين، سأكون على حذر. وفي هذه اللحظة رأت «آدم» وهو

يقترب منها بقامته الفارعة وشعره الفاحم يتماوج مع النسيم، وقد انعكس ضوء الغروب عليه، واكتسبت عيناه هذه النظرة الساحرة. وخفق قلبها بشدة واندفع الدم إلى وجهها، عندما جاء «آدم» لينضم إلى صحبتهما، وبعد أن قدّمت «تيري» إلى «آدم» تركتهما يتحدّثان عن الرياضة، وهرولت سريعًا إلى الداخل، والتقت في طريقها الآنسة «ترامب» تدخل إلى الحديقة، ورفعت هذه يدها بالتحية إلى «سامانتا» وهي تقول:

– سأذهب لمساعدة التلاميذ في وضع الفخاخ. ووقفت «سامانتا» تراقب الآنسة «ترامب»، وهي تعبر الملعب وتتجه ناحية «آدم»، الذي كان قد أنهى حديثه مع «تيري»، واقتربت منه ووقفت معه، وسرعان ما أخذا يتبادلان الحديث، وكان واضحًا لـ «سامانتا» أن الآنسة «ترامب» كانت تقوم بالجانب الأكبر من الحديث، ولاحظت أن «آدم» كان يلتفت بين آونة وأخرى إلى الداخل، لكن كان من الواضح أنه لايستطيع التخلص من الآنسة «ترامب»، وابتسمت «سامانتا» في وقفتها، وهي تتذكر قول العم «إدوارد» إن الفتيات يحمن حول «آدم» مثل الفراشات حول الضوء وبعد العشاء طلبت «كريستين» من «سامانتا» أن تمرّ عليها في غرفتها كما تعودّت أن تفعل من قبل، ولكنها شعرت بالتردد في هذه المرّة، وقالت في شيء من التهكم:

– إنّ حضرته يريد منّي أن أساعده في عمله هذا المساء، وكان عليّ أن أعده بذلك، وإلاّ فلن يكون لديه الوقت الكافي لإدارة المدرسة، فردّت «كريستين» قائلة:

– أخشى ذلك، فإن الفتيات هنا لن يتحن له الوقت لذلك. وأخذت «كريستين» تخبر «سامانتا» بالأعذار الواهية التي تنتحلها المدرّسات للتحدث إلى «آدم»،وبعد أن مضت «كريستين»،جلست «سامانتا» مع

www.rewity.com

الآنسة «بيلي» ترتشف القهوة، وكانت تلقي نظرة بين لحظة وأخرى إلى ساعة يدها، وأخيرًا اقتربت الساعة من الثامنة والنصف فنهضت واقفة، وبعد أن اعتذرت بانشغالها بالعمل، اتجهت إلى مكتبها لتطمئن على مظهرها في المرآة قبل التوجه إلى جناح «آدم». طرقت «سامانتا» الباب، وجاءها صوت «آدم» من الداخل يدعوها إلى الدخول. كان «آدم» يجلس خلف الطاولة الكبيرة الموجودة بالغرفة، محاطًا بأكوام من الكتب والأوراق المتناثرة، وكان مرتديًا صديريًا بسيطًا وسروالاً يلوح للعين قديمًا، وقد بدا وجهه شاحبًا وشعره مشعثًا، وكان في مظهره هذا أشبه شيء بالمؤلف الذي تستغرقه الكتابة تمامًا، وأشار «آدم» إليها بيده إلى أحد المقاعد، دون أن يرفع عينيه عن الأوراق أو ينطق بكلمة، فجلست تنتظر. وطال انتظارها وبدا «آدم» مستغرقًا تمامًا في الكتابة وقد نسي وجودها تمامًا، وأخيرًا توقف عن الكتابة، ورجع بمقعده إلى الخلف ومدّ لها يده بورقة وهو يقول:

– هل تعتقدين أنه يمكنك حلّ رموزها؟ ونظرت «سامانتا» إلى الورقة، وكانت السطور متقاربة جدًّا، وفي حالة يصعب معها قراءتها، ولكنها وعدت بأن تبذل ما بوسعها. وجدت«سامانتا» في بادئ الأمر صعوبة، وهي تحاول فكّ رموز الورقة المشوّشة، ولكنها وقد قبلت التحدّي كانت تشعر بمتعة وهي تفعل ذلك، وبعد دقائق قليلة، كان يمكنها قراءة خط «آدم» بسهولة كبيرة، وبعد حوالي ربع ساعة، كانت قد انتهت من نسخ الورقة على آلة الطباعة، وجلست تنتظر، ولاحظ «آدم» توقّف صوت الآلة، فرفع وجهه إليها وهو يقول:

– حقًّا، لا أكاد أصدق، أنت رائعة يا «سامانتا». وهزّ رأسه وكأنه لا يصدّق عينيه، واستمرت «سامانتا» في عملية نسخ الورق الواحدة تلو الأخرى، ومع تأخر الوقت شعرت بالإرهاق، ولكن «آدم» بدا مستغرقًا في عمله إلى

الدرجة التي خشيت معها مقاطعته. وأخيرًا تنبّه «آدم» على صوت طرقات خفيفة على الباب أعقبها صوت الآنسة «بيلي» وهي تهمس قائلة:

– سيد «رويل»، هل أنت بالداخل؟ ورفع «آدم» عينيه وهو يهمهم في ضيق، ثم رفع صوته يدعوها إلى الدخول، ودخلت الآنسة «بيلي» إلى الحجرة على استحياء، ونظرت إلى الأوراق المتناثرة على الطاولة، وإلى «سامانتا» وهي تجلس أمام آلة الطباعة، وقالت معتذرة:

– أراك مشغولاً الآن، وآسفة لمقاطعتك، ولكنّنا نعتقد أنه يجب إبلاغك بأمر. وبدأ «آدم» وهو يحاول الاحتفاظ بهدوئه يسأل الآنسة «بيلي» عما تريد قوله، واندفعت الآنسة «بيلي» تحدّثه عن الحيوانات التي أحضرها «فوزر جيل»، وهو أحد التلاميذ الصغار، وكيف أنها هربت من الحظيرة، واستمرّت الآنسة «بيلي» في حديثها دون توقف، ونظرت «سامانتا» إلى وجه «آدم»، وأدهشها أنه يبدو هادئًا تمامًا. وأخيرًا بدا وكأنه لا يمكنه الاستمرار في الاستماع إلى الآنسة «بيلي» أكثر من ذلك، فنهض واقفًا وهو يقول في صوت هادئ تمامًا:

– حسنًا يا آنسة «بيلي»،سأعمل على حل هذه المشكلة.وشكرته الآنسة «بيلي»، وغادرت الغرفة وهي تكرّر اعتذارها لمقاطعته، وبعد أن ابتعد صوت أقدام الآنسة «بيلي» وهي تنزل السلم، بدا وجه «آدم» مقطبًا وهو ينظر إلى «سامانتا» قائلاً:

– أنا على يقين أنني لن أستطيع العمل هنا لفترة طويلة دون أن أفقد عقلي، ألا يمكنني أن أنعم بشيء من الهدوء في غرفتي بعد متاعب اليوم الدراسي؟ وأخذت أصابعه تعبث بعصبية في شعره وهو يقول:

– على أية حال كان يجب ألا يُسمح لهذا التلميذ أن يحضر الحيوانات معه إلى المدرسة، إنها ليست حديقة للحيوانات، ما لي أنا ولهذه

التفاهات ولديّ من الأعمال المهمة الشيء الكثير لأقوم به. فردّت «سامانتا» في هدوء:

– إن «فوزر جيل» لا يعتقد أن فقد حيواناته بالشيء التافه، بل مهمة له أهمية الكتاب لك تمامًا. وتوقعت «سامانتا» أن ينفجر «آدم» غاضبًا، ولكنه لم يفعل، بل أخذ يحملق إليها وهو يطلب منها أن توضّح له ظروف «فوزر جيل»، وقصّت عليه «سامانتا» كيف أن «فوزر جيل» فقد أمه في حادث طائرة، وأن هذا الحادث أثّر فيه إلى درجة كبيرة، وبعد أن انتهت «سامانتا» من حديثها، نظرت إلى وجه «آدم» فرأته وقد زال عنه الغضب، وجاءها صوته غريبًا وهو يقول:

– حقًا، إنّ شيئًا لا يمكن أن يعوّض فقد الأم. قال «آدم» ذلك في لهجة جعلتها تشعر بأنه لابد من أن يكون مرّ بتجربة مماثلة، وبعد فترة ابتسم «آدم» قائلاً:

– إنك على حق يا «سامانتا»، ربما كانت حيوانات «فوزر جيل» من الناحية الإنسانية، أهمّ من كتابي. ثم نهض واقفًا وهو يقول:

– ما رأيك في أن نخرج ونشارك الجميع في عملية البحث عنها؟ ونظرت إليه «سامانتا» وقد لمعت عيناها في امتنان وهي تقول:

– شكرًا يا سيد «رويل». ونظر إليها «آدم» قائلاً:

– قد يكون من الأنسب أن تناديني بـ «آدم»، فنحن في غير أوقات العمل. كان «آدم» يقف خلفها وهي تجلس على المقعد، حتى تكاد تشعر بسترته الصوفية وهي تلامس ذراعها العاري، فخفق قلبها بشدة. كانت «سامانتا» تريد أن تغادر مقعدها، ولكنها خشيت لو فعلت ذلك في هذه اللحظة، أن تجد نفسها في مواجهة «آدم» وهي تكاد تلتصق به، مما سيسبب لها حرجًا شديدًا، ولم تكن «سامانتا» لتشعر بمثل هذا الشعور مع أي

رجل آخر في مثل هذا الموقف، فالأمر يختلف تمامًا مع «آدم»، وشعرت «سامانتا» بيد «آدم» تمتد لتلمس كتفها، فانتفضت واستدارت بسرعة في مقعدها وقد شعرت باضطراب شديد ورأت وجه «آدم»، وقد ارتسم عليه تعبير غريب، فنظرت إليه وهي تتساءل في بلاهة:

– ماذا... هل حدث شيء؟

– أنت تعرفين تمامًا ما حدث، إنك فتاة مثقفة حقًا يا آنسة «غولد»، وما أنا إلاّ رجل يخفق قلبي بمشاعر الرجل كأي إنسان. ثم لوى شفتيه تعجبًا وقال:

– أعتقد أنه من الأفضل أن نسرع بالخروج لنبحث عن الحيوانات. ومدّ يده فأمسك بيدها وجذبها من فوق المقعد، ودفعها صوب الباب وهو يضحك قائلاً:

– اخرجي الآن، الأمان أولاً، هذه هي القاعدة الذهبية عندي. وحاولت «سامانتا» أن تتماسك، فقد كانت هذه التجربة التي يمتزج فيها المرح بالعواطف المحمومة شيئًا جديدًا عليها تمامًا، فإنها لم تعرف من قبل رجلاً مثل «آدم رويل»، وأخذت تسائل نفسها إذا كان من الأفضل لها لو أنها استمعت إلى تحذير «ليزا»، ولكن يبدو أنها وجدت الرد السريع على هذا التساؤل، فقد نظرت إلى «آدم» وابتسمت له برقة شديدة وهي تسير بجانبه صوب الحديقة، وعندما وصلا إليها كانت عملية البحث عن الحيوانات على أشدها، وقد اشتركت فيها «كريستين» والآنسة «بيلي» التي كان صوتها يعلو على أي صوت آخر، وعندما رأى «فوزر جيل» «آدم» يقترب، بدا عليه الخوف الشديد واندفع إليه قائلاً وهو يلهث:

– أنا آسف يا سيدي، ولن يحدث هذا مرة أخرى. وأعقب ذلك فترة صمت، وترقب قطعها «آدم» في صوت تعمّد أن يكون جافًا وهو يوجه

www.rewity.com

حديثه إلى الطفل «فوزر جيل»:

– هل تأكدت أنك أغلقت الحظيرة بعد ظهر اليوم؟ وفي الضوء الخافت استطاعت «سامانتا» أن ترى وجه الطفل، وقد ملأه الخوف الشديد وهو يردّ بصعوبة بالإيجاب، واستطرد «آدم» باللهجة نفسها:

– وعندما عدت في المساء وجدت الحظيرة مفتوحة وقد هربت الحيوانات؟ فأجاب الطفل بالإيجاب، وأعقب ذلك فترة صمت أخرى قبل أن يسأل «آدم»:

– وكيف تفسر ذلك؟ وبدا الحزن على وجه «فوزر جيل» وهو يردّ قائلاً:

– لا أدري يا سيدي. لابد من أن هناك خللاً بالباب.

– هل تعتقد أن شخصًا تعمد فتح الباب؟

– لا يا سيدي، لماذا يريد أي شخص أن يفعل ذلك؟ وهزّ «آدم» رأسه وهو يقول:

– حسنًا، يجب أن نبحث عن الحيوانات ونحاول أن نعثر عليها. وصاح «فوزر جيل» في مرح غامر:

– هل تعني يا سيدي أنه يمكنني الاحتفاظ بها؟

– بالطبع، لكن يجب أن تضعها في مكان مأمون آخر. وابتسم «آدم» للطفل الذي اندفع راكضًا ليبحث عن حيواناته، وشعرت «سامانتا» بالارتياح، فقد نجح «آدم» في أول مواجهة له مع تلاميذ المدرسة، وكانت تعتقد أن العم «إدوارد» نفسه، ما كان ليمكنه أن يعالج هذه المسألة بطريقة أفضل. وقال «آدم» بعد انصراف «فوزر جيل»:

– إنه شيء مدهش حقًا، لقد أتحت الفرصة لـ «فوزر جيل» لأن يلقي مسؤولية ما حدث على غيره، ولكنه لم يفعل، أعجبني موقفه جدًا، فإن أكثر ما يعجبني في هذه الحياة هو الصدق والأمانة. وقالت «سامانتا»:

– إن العم «إدوارد» يتّفق معك في ذلك.

– وما رأيك يا «سامانتا»؟ هل تتفقين معي؟ كان سؤاله غريبًا، فنظرت إليه لترى عينيه وقد صوّبهما إلى وجهها في اهتمام شديد، وكأنّ ردّها يعني الكثير له، وشعرت «سامانتا» في هذه اللحظة بأن «آدم» كان يمكن أن يكون محاميًا ناجحًا لو أنه لم يعمل بالتدريس، وردت قائلة:

– بالطبع، إنني أتفق معك. كانا يسيران ببط ء شديد وهما يقتربان من فريق البحث عن الحيوانات لمشاركته في مهمته، ثم توقّف «آدم» تمامًا ووقف أمام «سامانتا»، وأخذ ينظر إليها في صمت وقد علت وجهه تقطيبة خفيفة وقد استغرقه التفكير، وبدا وكأنه نسيها تمامًا. قالت «سامانتا» بلهجة مازحة:

– ألم يحن الوقت بعد لأترك منصّة الشهادة؟. وتنبّه «آدم» من تفكيره وانفجر ضاحكًا وهو يقول:

– آسف، فقد سرحت بأفكاري بعيدًا، تعالي الآن، وأراهنك أنني سأكون أول من يعثر عليها.

– 6 –

مضت عشرة أيام على بدء الدراسة، وكان الوقت مساء، وقد جلست «سامانتا»مع «كريستين» في غرفتها تتجاذبان أطراف الحديث، وقالت «كريستين» وهي تصبّ القهوة:

– هذه المرّة الأولى يا «سامانتا» منذ عشرة أيام، لا يكون لديك عمل في المساء. إن هذا الرجل يرهقك كثيرًا. وجلست «سامانتا» على مقعدها في استرخاء، وحاولت أن تبدو كأنها تفضّل أن تخلو إلى «كريستين» في

www.rewity.com

غرفتها على أن تعمل مع «آدم»، وقالت:

– لقد منحني راحة هذا المساء؛ لأنه ذهب لزيارة العم «إدوارد»، الذي قد يغادر المستشفى في الأسبوع المقبل، أليس هذا رائعًا؟

– لقد تحسنت صحته أسرع مما كان متوقعًا... لكن أين سيقضي فترة النقاهة؟

– سيذهب عند شقيقته في «ديفون»، ولو أنه يفضل العودة إلى المدرسة، وأعتقد أن وجوده هناك في هذا الوقت من العام، سيفيده كثيرًا وقد يشفي سريعًا؛ ليعود إلى المدرسة في بداية الفترة الدراسية القادمة. وبدا على «سامانتا» التفكير، فإن عودة العم «إدوارد» تعني رحيل «آدم»، وهي لايمكن أن تتخيل المدرسة دونه، فقد كان الأثر الذي أحدثته شخصيته في كل ما حوله قويًا إلى درجة لا يمكن تجاهلها، وجلست «كريستين» في مواجهة «سامانتا»، وبدا عليها التردد وهي تقول:

– تبدين مرهقة الليلة يا «سامانتا»، ألا تعتقدين أنك تتعبين نفسك بالعمل أكثر من اللازم؟... ما كان عليك قبول العمل الإضافي في المساء. وهزّت «سامانتا» كتفيها وهي تردّ قائلة:

– لم يكن أمامي خيار، إن كل ما يهمني هو أن تمضي الأمور على ما يرام، وهذا لن يحدث ما لم أوفّر لـ «آدم» الوقت الكافي لإدارة المدرسة، فهو يهتم بكتابه إلى درجة كبيرة، وأعتقد أنه لو خُيّر بين مصلحة المدرسة والانتهاء من كتابه، لاختار كتابه.

– لابد من أنه شخص أناني.

– ألسنا كلنا أنانيين في أحيان كثيرة؟ أظن أنه على حق في موقفه هذا، فقد اضطر إلى قبول العمل في المدرسة. وبدا على «سامانتا» وكأنها تحاول الدفاع عن «آدم» . وسألت «كريستين»:

– ألا يمكنه نسخ الأوراق بنفسه؟

– إن مساعدتي له توفّر له الكثير من الوقت، وأعترف أنني أشعر بالإرهاق في أحيان كثيرة، ولكن موضوع الكتاب يهمني، فأنت تعرفين أنني أحبّ كل ما يتصل بالتاريخ. وردّت «كريستين» وهي تضع بعض الفطائر أمام «سامانتا»:

– نعم، أعرف ذلك، ومازلت أذكر مناقشتك مع «ريتشارد» حول الحضارات القديمة. وشعرت «سامانتا» عند ذكر «ريتشارد» بنوع من تأنيب الضمير، فهي لم ترسل له رسالة حتى الآن، وأخذت «سامانتا» تحدث «كريستين» عن كتاب «آدم» في حماس شديد، ويبدو أنها تنبّهت إلى ذلك فانسحبت في خجل وهي تقول:

– آسفة، يبدو أنني انفعلت قليلاً. ونظرت «كريستين» إلى قدمها وقالت في لهجة حاولت أن تبدو بريئة:

– هل كان انفعالك من أجل الكتاب فقط؟ أرجو ألا يكون سؤالي محرجًا، وألاّ تظني أنني أستغل صداقتي لكِ فأجرؤ على التدخل في خصوصياتك. وارتجفت «سامانتا» لدى سماعها هذا السؤال، فقد كانت «كريستين» صديقتها حقًا، ولكنها كانت تكبرها بحوالي عشر سنوات، كما أنها كانت أكثر منها خبرة بالحياة، ولا يمكن أبدًا أن يكون هذا السؤال بريئًا، وعليها أن تفكر كثيرًا قبل أن تردّ في هدوء:

– نعم، إن انفعالي كان من أجل الكتاب فقط، كما أعترف أن «آدم رويل» شخص جذاب للغاية، لكن أية فتاة ذكية لا يمكن أن تجعل هذه الجاذبية هدفًا أعلى لها، وإلاّ تعرضت للمتاعب. وظهر القلق في عينيْ «كريستين» وهي تقول:

– إذا كان هذا رأيك، ألا تجدين أنّ العمل معه طوال هذه الساعات في

www.rewity.com

المساء سيسبّب لك المتاعب؟

– لا... لا أعتقد ذلك، فهو يستغرق تمامًا في عمله حتى ينسى وجودي معه في الحجرة. وكانت «سامانتا» على حق، فإن معاملة «آدم» قد تغيّرت تمامًا منذ أول يوم عملا فيه معًا، وكان مهذبًا جدًّا معها، وبدا واضحًا أنه يحاول وضع حاجز بينهما، وبعد فترة من الصمت سألت «سامانتا»:

– والآن، ماذا عن أخبارك؟ هل حدّدتِ موعدًا للزواج؟ واجتذبهما الحديث في هذا الموضوع إلى أن حان وقت النوم، فغادرت «سامانتا» غرفة «كريستين» متجهة إلى غرفتها. وفي الصباح بدا «آدم» صامتًا على غير العادة، ودعا «سامانتا» إلى مكتبه حيث أخذ يعرض عليها بعض الرسائل، وبعد الانتهاء من ذلك انتظرت «سامانتا» قليلاً قبل أن تضع أمامه بعض الأوراق قائلة:

– هذه هي الرسائل التي وصلتنا ردًّا على الإعلان الخاص بطلب مشرفة جديدة للمدرسة، هل تريد أن تراها؟ وألقى «آدم» نظرة عابرة على الرسالة الأولى، ثم أعاد إليها باقي الرسائل قائلاً:

– من الأفضل أن تبحثي الأمر مع «كريستين». وأخذت «سامانتا» الرسائل، ثم انتظرت قليلاً قبل أن تسأل:

– هل هناك شيء آخر؟ ورفع «آدم» رأسه وقد بدا ساهمًا وهو يقول:

– ماذا؟ هذا كل ما أريد. وسألته «سامانتا» عن العم «إدوارد»، فأجابها بأنه تحسّن كثيرًا عن المرّة السابقة وقال:

– أعتقد أنه تخطّى مرحلة الخطر، أجريت له بعض الاختبارات، وكانت النتيجة مشجّعة. وساد الصمت بينهما، وهمّت «سامانتا» بالخروج، وعندئذ قال «آدم» فجأة:

–كان السيد «بارنز» يبدو مشرقًا وهو يحدثني عن ابنه «ريتشارد». وتساءلت

«سامانتا»:

– «ريتشارد»، وهل تعرفه؟

– لا، إننا لم نلتق قط، وأتساءل، لماذا لم يعد إلى المدرسة في خلال فترة مرض أبيه؟ وأخبرته «سامانتا» كيف أن العم «إدوارد» يرفض هذه الفكرة تمامًا، ثم أضافت:

– إن «ريتشارد» ممتاز في عمله، والعم «إدوارد» فخور به للغاية. ورفع «آدم» عينيه إليها وقال دون أن يبتسم:

– وأنتِ أيضًا، أعتقد ذلك.

– أنا!! وردّت «سامانتا»، وقد شعرت بالدماء تندفع إلى وجهها، وهي تتساءل: تُرى ماذا أخبره العم «إدوارد» بشأن «ريتشارد»؟ واستطرد «آدم»:

– فهمت من حديثي مع السيد «بارنز»، أنكِ أنتِ وهذا المدعو «ريتشارد» على وشك الارتباط بخطوبة.وكادت «سامانتا» تقول لـ «آدم» إنه لا شأن له بهذا الأمر، ولكنها تذكّرت قرارها الذي اتخذته، بعدم محاولة إثارته، سواء بالقول أم بالفعل، خاصة في موقفهما هذا، حيث هو مدير مدرسة وهي سكرتيرته، وقالت «سامانتا» في برود:

– إن المسألة لا تعدو أننا...

– أصدقاء! قاطعها «آدم» في لهجة تهكمية، فرفعت وجهها في نوع من التحدي وهي تجيبه موافقة على كلامه، وغادرت «سامانتا» غرفة المكتب، وتوجّهت إلى غرفتها، وبعد فترة مرّ «آدم» بها وهو عائد من المكتبة وطلب منها أن تحاول منع أي شخص من إزعاجه، ثم سألها:

– هل عندي مقابلات هذا المساء؟ فنظرت في دفتر المواعيد وهي تقول:

– الآنسة «غريفز» تريد مقابلتك قبل مغادرتها المدرسة، الآنسة «جاكسون»

طلبت مقابلتك أيضًا إذا كان ذلك ممكنًا. وتجهّم وجه «آدم» وهو يستمع إليها، وبدا وكأنه على وشك أن يقول شيئًا غير لائق، ولكنه تدارك موقفه، واكتفى بأن قال في لهجة وقحة وهو يغادر الحجرة:

– أعتقد أنه يمكنهما ذلك. وبعد الظهر جلست «سامانتا» في مكتب مواجه لغرفة المدير تراقب المدرّسات وهن يدخلن إلى مكتب «آدم» واحدة تلو الأخرى، ولاحظت «سامانتا» أن المقابلات كانت تستغرق وقتًا أكثر من اللازم، ولم يغادر «آدم» الغرفة بعد ذلك، وفي الساعة الرابعة أحضرت السيدة «كمبل» الشاي، لكن «سامانتا» طلبت منها أن تحمله إليه بنفسها في غرفته متظاهرة بانشغالها في العمل، فقد كانت تخشى الدخول في هذه اللحظة، بعد كل هذه المضايقات التي تعرّض لها، وغادرت «سامانتا» مكتبها بعد قليل، فقد كان عليها أن تشرف على بعض الأمور، وعندما عادت إليه، رأت الآنسة «بيلي» تخرج من مكتب «آدم»، وقد بدا وجهها محتقنًا، ولم تتوقف لتتحدث معها كما تعوّدت دائمًا أن تفعل. وخشيت «سامانتا» أن يكون «آدم» قد فقد أعصابه وقال لها ما كدّرها، فاستجمعت شجاعتها وطرقت باب المكتب ودخلت. كان «آدم» يجلس فوق مقعده ووجهه ينذر ببوادر عاصفة من الغضب، ونظر إليها نظرة سريعة وهو يقول في لهجة تنطوي على الضيق:

– ماذا هناك؟ وأجابت «سامانتا» في صوت حاولت أن يبدو هادئًا تمامًا:

– هل يمكنني فحص الأوراق الخاصة بتقارير التلاميذ؟ فهي هنا، وأعرف أنه لم يكن لدينا منها العدد الكافي في العام الماضي. وتوقفت «سامانتا» فجأة عن الحديث فقد دفع «آدم» مقعده إلى الخلف في غضب شديد، وردّ في وقاحة متناهية:

– حسنًا، هيا افعلي ما تريدين ، كيف لي أن أعرف شيئًا عن هذه

التقارير؟ فأنا لست أمين مكتبة، ولم أكن موجودًا هنا في العام الماضي، وأشعر في هذه اللحظة بالذات بأنني لن أستمر هنا طويلاً. وشعرت «سامانتا» ببرودة مفاجئة تسري في جسدها، فقد كان الموقف أسوأ بكثير من كل توقعاتها، وأزعجها احتمال رحيل «آدم»؛ لأن ذلك يعني أنّ العم «إدوارد» سيضطر إلى العودة إلى المدرسة قبل تماثله للشفاء تمامًا، وهو ما لا يمكن أن تسمح بحدوثه أبدًا، وحاولت «سامانتا» تجاهل ثورة «آدم» وسألته بطريقة مباشرة عما حدث، والتقط «آدم» مسطرة من فوق المكتب، ظنّت «سامانتا» للحظة أنه سيقذفها بها، وأخذ يحركها بعصبية بين يديه، ثم قذف بها على المكتب وهو ينظر إليها قائلاً:

– هل تريدين حقًا أن تعرفي ماذا حدث؟

– أعتقد أنه من حقي أن أعرف، خاصة إذا كان الأمر متعلقًا بالمدرسة. فحملق إليها «آدم» وهو يقول:

– لن يعجبك ما سأقوله، وربما لا تصدقينني.

– حاول أن تشرح لي ما حدث، وستجدني متفهمة تمامًا. وحاولت «سامانتا» التخفيف من حدّة غضبه، فجلست إلى جانبه وهي تقول في صوت هادئ:

– هل هنّ المدرّسات؟ أعرف أنّ عددهن كبير، وقد شرحت لك الأمور من قبل. ومر «آدم» بأصابعه خلال شعره بطريقة يائسة وهو يقول:

– إن كل واحدة منهنّ تسألني عن أمور في منتهى التفاهة، ليست من اختصاصي على الإطلاق، باختصار إما أنهنّ يتآمرن عليّ، وإما لا يقدرن على التصرف في أي شيء. وردّت «سامانتا» في لهجة صادقة:

– من المؤكد أنهنّ لسن كذلك، إنّ الأمر لا يعدو أن يكون مجرّد رغبة منهنّ في إظهار المزيد من المودة. فحدّق «آدم» إليها قائلاً:

www.rewity.com

– أنت لا تعرفين يا عزيزتي الآنسة «غولد» شيئًا عن هذه الأمور، ولايمكنك بأية حال من الأحوال أن تقدّري تمامًا موقف شاب في مثل سني لم يرتبط بعد. وقالت «سامانتا» في محاولة يائسة لتلطيف الجو:

– حسنًا، ربما كانت المدرّسات ترغبن في مناقشة المزيد من التفاصيل بشأن العمل. فالتفت إليها «آدم» وهو يرمقها بنظرة مفعمة بالمعاني، وقال:

– إذا كان حقًا ما تقولين، فلماذا تدعوني الآنسة «بيلي» للذهاب معها إلى المسرح أنا وهي بمفردنا؟ وضرب «آدم» بقبضته على المكتب وهو يقول:

– تصوّري أنا والآنسة «بيلي» نذهب إلى المسرح معًا! وبعد فترة استطرد قائلاً:

– لقد حاولت أن أكون مهذبًا معها بقدر الإمكان، فاعتذرت بكثرة مشاغلي، ولمّا لم أجد وسيلة للتخلص منها، أخبرتها بأنني مرتبط بموعد سابق مع فتاة أخرى. ورمق «آدم» «سامانتا» بنظرة حادة وهو يقول:

– أعرف أنك تعتقدين أنه أمر مضحك للغاية، ولكنه ليس كذلك بالنسبة إليّ، إن كل ما أطلبه هو أن تتاح لي الفرصة لأعمل، وألا يضطرني أحد إلى التصرّف بطريقة وقحة، إنه شيء مثير للأعصاب حقًا. وجلست «سامانتا»، وقد علا وجهها الوجوم، وهي تفكر فيما قد يحدث في خلال المدة المتبقية من الدراسة، وقد حدث ما حدث من مضايقات لـ «آدم» في خلال عشرة أيام فقط، وتوقّف «آدم» عن الحديث، وبدا عليه وكأنه قد فاض به الكيل، وفجأة خطرت على ذهنها فكرة، ظنّت أنها قد تكون الحلّ المناسب لهذه المشكلة، ولو أنها بدت فظيعة، لكن «سامانتا» لم تتردد لحظة، فقالت على الفور:

– أنت تعتقد أن السبب في المتاعب التي تصادفك هنا، هو أنك شاب وغير مرتبط، أليس كذلك؟

– لا أدري تمامًا. قال «آدم» ذلك وقد رفع عينيه إلى عينيْ «سامانتا»، كأنه ينظر إلى منقذته، فهزّت «سامانتا» رأسها وهي تقول في تردد:

– حسنًا، أنت تعرف أنه كلما أسرعت بالارتباط فعلاً بأية فتاة كان ذلك أفضل.

– أوه!! صاح «آدم» وقد بدا عليه الاهتمام، ورجع بمقعده إلى الخلف وهو ينظر إليها بطريقة مسرحية وقال:

– هذا شيء مسلٍ للغاية.وتجاهلت «سامانتا» ذلك واستمرت في حديثها:

– إذا وضح للجميع أنك مرتبط بفتاة معينة، فإن الفتيات سيتوقفن عن ملاحقتك.

– هذا أظرف شيء سمعته في حياتي، ومن هي الفتاة التي تعتقدين أنه يمكنني التظاهر بالارتباط بها، هل هي الآنسة «بيلي»؟ أم مدرّسة الموسيقى؟ أم الآنسة «ترامب»؟ وأخذت «سامانتا» نفسًا عميقًا قبل أن تقول:

– أقترح أن أكون أنا هذه الفتاة.

– لا!! صاح «آدم» وهو يقوم من مقعده، ثم يعود للجلوس مرّة أخرى، ثم قال:

– لن يحدث هذا بأية حال من الأحوال. فقالت «سامانتا»:

– ولم لا؟! إن الأمر يبدو معقولاً تمامًا، حيث أنني أعمل معك لفترات طويلة، وتأكّد أنك ستكون في أمان تام وأنت معي؛ لأنني لا أنوي الوقوع في حبك. وبدا «آدم» وقد استطاع السيطرة على أعصابه، بعد هذه المفاجأة التي أخرجته إلى حدٍّ ما من حالة الغضب التي كانت تتملّكه،ونظر إلى «سامانتا» قائلاً:

– ما دمنا قد وصلنا إلى هذا القدر من الصراحة في حديثنا، أريد أن أعرف

www.rewity.com

لماذا لا تريدين أن تقعي في حبي؟ فردّت «سامانتا» وقد قرّرت أن تلتزم الصراحة في حديثها معه:

– لا أريد ذلك لعدّة اسباب، حقًّا إنك وسيم وجذّاب، وحديثك ممتع في الأحوال العادية، كما أنك مدير ممتاز، لكن...

– لكن ماذا؟ أريد أن أعرف. فنظرت إليه «سامانتا» وهي تبتسم، وقالت:

– ولكنك مغرور وأناني ومتعجرف، أو على الأقل هكذا تبدو لي. ووضع «آدم» ساقًا على ساق وهو يرجع بمقعده إلى الخلف، وقال:

– وأنتِ أيضًا يا آنسة «غولد»، أعتقد أنك متعجرفة قليلاً، على أية حال الأمر يبدو معقولاً، لكن... أشعر بأنّ هناك شيئًا مريبًا.

– تقصد أنني أحاول أن أنصب لك فخًّا، أم أنني أريد الإيقاع بك؟ اطمئن تمامًا، فأنا لم أقترح هذه الفكرة إلاّ لأنّها الوسيلة الوحيدة لأبعد عنك المضايقات في خلال فترة وجودك بالمدرسة، وتمضي الأمور على ما يرام إلى حين عودة السيد «بارنز». وقال «آدم» وهو ينظر إليها في سخرية:

– موقف نبيل حقًّا، وتضحية كبيرة من جانبك بالفعل.

– والآن ما رأيك في هذه الفكرة؟

– أعتقد أنها فكرة مقزّزة، لا يمكن أن تخطر إلاّ ببال امرأة. فوقفت «سامانتا» وهي تقول ببرود:

– لقد تعبت من هذا الصراع الذي يدور بين الجنسين، هل تريد مساعدتي يا سيد «رويل» أم لا؟ وأخذ «آدم» ينظر إليها وهي تقف في مواجهته بقوامها النحيل وثوبها البسيط وقد عقصت شعرها إلى الخلف، ثم وقف واستند بكلتا يديه إلى المكتب، وانحنى قليلاً وهو ينظر إليها قائلاً:

– إنني أوافق على هذه الفكرة، لكن كيف نبدأ تنفيذها؟ قال ذلك وهو ينظر

إليها نظرة جعلتها تكاد تنهار، ولكنها صمّمت على التماسك وقالت:

– أقترح أن ندع الجميع يعتقدون أنني الفتاة التي ارتبطت معها بموعد للذهاب إلى المسرح، وإذا أمكننا الذهاب بالفعل، فإن الأمر سيبدو مقنعًا بالفعل. وانحنى لها «آدم» بطريقة تمثيلية وهو يقول:

– لا يبدو أن أمامي مجالاً للاختيار. ثم قال وهي تبتعد عنه متجهة إلى الباب:

– هل تحضرين في الساعة الثامنة مساء كالمعتاد؟ فهزّت رأسها بالإيجاب وهي تخرج مسرعة من الحجرة. لقد حدث ما حدث، وما عليها إلا الانتظار لمعرفة النهاية. جلست «سامانتا» في غرفة مكتبها تفكّر وهي تحدّث نفسها بذلك، ورنّ جرس الهاتف ورفعت السماعة، وجاءها صوت أختها «ليزا» وهي تقول في لهجة ضاحكة:

– أهلاً «سام»، هل أنتِ بمفردك؟ وأخذتا تتجاذبان الحديث، وطلبت منها «ليزا» أن تمرّ بها في منزلها قائلة:

– يجب أن تتصلي بي قبل حضورك، فإن «روبرت» لم يعد بعد، وربما أخرج لقضاء بعض الأمور. ووضعت «سامانتا» السماعة وهي تشعر بالقلق. لقد تعودت «ليزا» أن تتورّط في متاعب كثيرة قبل زواجها بـ «روبرت» بسبب علاقاتها الغرامية، وازداد قلق «سامانتا» وهي تفكّر في صديق «ليزا» الذي وجدته جالسًا معها، خاصة وأنها تعرف زوجها «روبرت»، ليس من النوع المتساهل، وفي اليوم التالي ذهبت «سامانتا» لزيارة العم «إدوارد»، فوجدته قد غادر سريره وجلس في مقعد مريح بجوار النافذة. وانحنت عليه تقبّله، ثم سحبت مقعدًا وجلست إلى جانبه، وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث، وربّت العم «إدوارد» يدها في حنان وهو يسألها:

– كيف تسير الأمور في المدرسة؟ وهل تمضي الأمور بينك وبين «رويل»؟

www.rewity.com

لابدّ من أنه يقدّرك كثيرًا، فقد أخبرني بأنك تساعدينه في المساء. وأخذ العم «إدوارد» يسألها عن موقف «آدم» من التلاميذ، وكيف يتعامل معهم؟ وبدا عليه الرضا التام وهو يستمع إليها، وتطرّق الحديث بينهما، فسألها إذا كتبت لـ «ريتشارد» رسالة، وتردّدت «سامانتا» وهي تجيب:

– لم أرسل إليه منذ فترة طويلة، فقد كنت مشغولة للغاية في خلال الفترة الماضية، ولكنني سأفعل ذلك قريبًا. كانت «سامانتا» تشعر بأن العم «إدوارد» يريد أن يحدّثها عن علاقتها بـ «ريتشارد»، ولكنها حاولت أن تغيّر مجرى الحديث، وقالت بطريقة حاولت أن تبدو عارضة:

– لقد أخبرتني «ليزا» بأنها التقت بـ «آدم رويل» في مباراة للتنس، نظّمتها العمة «بيتي» في المدرسة منذ بضع سنوات. وبدا على العم «إدوارد» وكأنه لا يتذكر شيئًا، ثم قال لها وقد تذكر ما حدث:

– إن «ليزا» حضرت فعلاً إلى هذه المباراة، وكانت معها صديقة تدعى «غيلبان كارترايت»، وكانت «سامانتا» تريد معرفة المزيد من التفاصيل، ولكنها لم تجرؤ على توجيه الأسئلة، وفي طريق عودتها إلى المدرسة، مرّت «سامانتا» بالمسرح في «ستراتفورد»، حيث حجزت تذكرتين، وسارت قليلاً على قدميها قرب النهر وهي تراقب البجع يسبح على صفحته، وأخذت تسترجع ما قاله العم «إدوارد» بشأن مباراة التنس، مما يؤكد لها قصة «ليزا»، وتوجهت «سامانتا» فور عودتها إلى حجرة «كريستين» التي ابتدرتها قائلة:

– أين كنت يا «سامانتا»؟ إن السيدة «كمبل» كانت تبحث عنك.

– ذهبت لزيارة العم «إدوارد» ولأحجز هذه التذاكر. قالت ذلك وهي ترفع التذكرتين في يدها لتراهما «كريستين»، وبعد أن نظرت «كريستين» إليهما جيدًا قالت:

– مكان ممتاز في الصفوف الأولى، لا أعتقد أنك ستذهبين مع إحدى الصديقات.

– لا، بل سأذهب مع «آدم رويل» نفسه. وظهرت الدهشة على وجه «كريستين» وهي تقول:

– السيد «رويل»! هذه مفاجأة حقًّا، فهمت منكِ أنكِ... فقاطعتها «سامانتا» قائلة:

– ليس الأمر كما تظنين، إن المسألة لا تعدو أن تكون خطة دبّرتها، وسأحتاج إلى مساعدتك. وراحت «سامانتا» تقصّ على «كريستين» جميع التفاصيل، وأظهرت «كريستين» تفهمها للموقف، ولكنها قالت:

– إنني أدرك تمامًا أن رجُلا مثل «آدم رويل» بمثل هذه الجاذبية، لابد من أن يتعرّض لمثل هذه المضايقات، ولكنني لا أشعر بالارتياح يا«سامانتا»، ومازلت أحذّرك، إياكِ أن تلعبي بالنار.وعندما حان موعد العشاء، لاحظت أن الجميع بدؤوا يتهامسون بقصة ذهابها مع «آدم» إلى المسرح، ولاحظت المدرّسات وهن ينظرن إليها من طرف خفي. قالت «بيلي» موجّهة الحديث إلى «سامانتا»:

– سمعت أنك ستذهبين إلى المسرح مع مدير المدرسة لمشاهدة مسرحية «ماكبث»، وسوف نذهب نحن الاثنتان الآنسة «ترامب» وأنا، وستكون مصادفة سعيدة أن نلتقي هناك. وشعرت «سامانتا» بشيء من الإعجاب الممزوج بالعطف تجاه الآنسة «بيلي»، لقد صادفت هذه الفتاة الكثير من خيبة الأمل في حياتها وتخطّت الآن الثلاثين من عمرها، وقضت شبابها في رعاية والديها المسنين، وبدأ اليأس يتطرّق إلى قلبها وهي تبحث عن رجل يحبها، وعندما ذهبت «سامانتا» إلى غرفة «آدم» في المساء، أخذت تقصّ عليه ما حدث على طاولة العشاء، فقد تناول عشاءه في المكتب حيث كان

يعمل، وأخذا يتضاحكان حول هذه القصة، وأخيرًا استجمعت «سامانتا» شجاعتها وسألته قائلة:

– لكن، هل حقًا تكره النساء إلى هذه الدرجة؟ وابتسم «آدم» ابتسامة عريضة وهو يجيب:

– ليس هذا صحيحًا، فأنا لا أكره النساء، لكنني لا أثق بهنّ فقط.وبدا عليه وكأنه لا يريد الخوض في هذا الحديث، فأخرج حافظة نقوده من جيبه؛ ليدفع لها ثمن تذاكر المسرح، وأخذ يراقبها لفترة، ثم قال:

– آسف يا «سامانتا»، لم أكن أقصدك بهذا الكلام. وهزت «سامانتا» رأسها وهي تقول:

– هذا لا يهم، ولكنني أشعر بالأسف لك، وكنت أفكر في أبيات الشعر التي كان العم «إدوارد» يردّدها دائمًا. وطلب منها «آدم» بصوت رقيق أن تُسْمعه هذه الأبيات، واستجمعت «سامانتا» ذاكرتها، وأخيرًا أخذت تردّد أبيات الشعر وهي تنظر إلى سقف الغرفة، وكانت الأبيات تقول:

رأيت زهورًا تنمو في بقاع صخرية،

وأعمالا مجيدة يقوم بها رجال ذوو وجوه قبيحة،

والكأس الذهبية فاز بها أسوأ الخيول. وانتظرت «سامانتا» لحظة، ولما لم يعلّق «آدم» بشيء، غادرت الغرفة وأغلقت الباب وراءها في هدوء.

- 7 -

دقّ جرس المدرسة معلنًا إنهاء الفترة الأخيرة قبل عطلة نهاية الأسبوع، وسمعت «سامانتا» وهي تجلس في مكتبها، قرقعة باب قاعة الألعاب الرياضية عند فتحه، وأصوات أقدام التلاميذ في أحذيتهم الرياضية،

تتدافع على الأرض الخشبية في بهو المدرسة، وأخذت أصوات التلاميذ الصغار تتعالى فيما يشبه الضجة، وأخذت «سامانتا» تُسائل نفسها: ماذا حدث حتى يترك «تيري ريد» مدرّس الألعاب الرياضية التلاميذ هكذا دون إشراف، لتصل أصواتهم إلى غرفة المدير الجديد؟ وقد حدث هذا بالفعل، فقد فتح «آدم رويل» باب غرفة مكتبه الملحقة به غرفة السكرتارية وهو يتساءل في غضب:

– ما الذي يحدث في الخارج؟ وأين هو «تيري ريد»؟ ولمّا لم تكن هذه المسألة تخصّ «سامانتا» في شيء، فإنها لم ترد على «آدم»، وبعد لحظة سُمع صوت «تيري ريد» في البهو، وهو يأمر التلاميذ بالاصطفاف في الحال، وسمع صوته وهو يقول:

– من فتح باب قاعة الألعاب الرياضية قبل أن أصدر أوامري بذلك؟ ثم سمع صوت صرخة خفيفة كما لو كان أحد التلاميذ قد عوقب، ثم خفّت أصوات التلاميذ، وبدا وكأن «ريد» قد أمكنه السيطرة على الموقف، وقاد التلاميذ إلى القاعة، ووقف «آدم» بباب الغرفة يرهف السمع، ولمّا اطمأنّ إلى أنّ «ريد» قد تمكن من السيطرة على التلاميذ قال:

– يبدو أن «ريد» قد تمكّن من معالجة الموقف، ولذلك فإنني لن أوبخه على ذلك، ولكنني لن أسمح بعد ذلك أبدًا، بأن تحدث مثل هذه الأمور في المدرسة، وخاصة داخل البهو الرئيسي. ولفّ المكان الصمت من جديد، وتوجّه «آدم» إلى مكتبه، ولكنه توقف فجأة كمن سمع صوتًا غريبًا يأتي من خارج المكتب، فنظر إلى «سامانتا» متسائلاً وهو يقول:

– ما هذا؟ هل هو مواء قطة؟ هل توجد قطط داخل المدرسة؟ فردّت «سامانتا» قائلة:

– ربما تكون قطة ضالّة، فقد ماتت القطة العجوز التي كانت في المدرسة

WWW.REWITY.COM مـرمـوز

العام الماضي. ثم سمع الصوت نفسه مرة أخرى، فقال «آدم»:

– لا نريد قططًا ضالّة في المدرسة. وفتح «آدم» باب المكتب وتبعته «سامانتا» إلى الخارج، وهما يفتشان عن مصدر الصوت الغريب، وفجأة سمعت «سامانتا» صوت «آدم»، الذي كان يبحث في أحد الأركان المظلمة من البهو، وهو يسأل في دهشة:

– ما هذا؟ ماذا تفعل هنا يا «جيمس»؟ وخرج من أحد أركان القاعة شبح هزيل قصير يرتدي ملابس الألعاب الرياضية، وقد وقف يرتعد أمام «آدم»، وعرفت فيه «سامانتا» «جيمس» ابن «كريستين» حكيمة المدرسة، ثم سمعت «سامانتا» «آدم» وهو يسأل في شيء من العطف:

– ماذا بك يا «جيمس»؟ هل أنت مريض؟ وردّ في تلعثم بالنفي وهو يحاول ابتلاع دموعه.

– إذًا، ماذا تفعل هنا في هذا الركن المظلم من البهو ، وأنت ترتدي ملابس الرياضة؟ وبدا واضحًا أن «جيمس» كان يحاول الاختباء في أحد الأركان، ولكنها لم تتوقع أن يعترف بذلك لـ «آدم».

– تعال الآن يا «جيمس»، أريد أن أعرف الحقيقة. وبدا الارتباك والخوف واضحين على «جيمس» وهو يحاول استجماع شجاعته، ثم قال في تلعثم:

– لابد من أنني سقطت على الأرض يا سيدي.

– سقطت على الأرض! قال «آدم» هذا وهو لا يصدّق قول «جيمس» ثم أضاف:

– تعال يا «جيمس»، لابد من أن تبحث عن قصة أخرى تبرّر بها وجودك هنا؟

– إنني لا أكذب يا سيدي، لقد كنا نركض جميعًا كما ترى، واصطدمت

بأحد التلاميذ، ثم... ثم... سقطت على الأرض وارتطم رأسي بالحائط، وبقيت في مكاني. ووقف «آدم» ينظر إليه للحظة، ثم سأله:

– هل تعتقد أن أحدًا من التلاميذ قد تعمّد دفعك؟

– لا يا سيدي، لقد سقطت، وهذا كل ما في الأمر.

– حسنًا ،لكن هل تشعر بألم؟

– لا يا سيدي، إنني بخير الآن. فقال «آدم» وهو يدفعه برفق:

– إذًا هيا، الحق بزملائك في قاعة الألعاب الرياضية. وبدا على «جيمس» التردد للحظة، وبدا كأنه يريد أن يقول شيئًا، ولكنه عدل عن رأيه ومشى ببطء متجهًا إلى القاعة، وبعد أن مضى «جيمس»، سأل «آدم» «سامانتا» وقد بدا عليه التفكير العميق:

– مسكين «جيمس»، يبدو كالأرنب المذعور، هل هو جديد في المدرسة؟

– لا، إنه ليس جديدًا، فقد حضر في الفترة الدراسية السابقة، ولكنني أعتقد أنه لم يتأقلم بعد، فهو تلميذ حسّاس للغاية، وهو ابن «كريستين» حكيمة المدرسة، أعتقد أنك تعرف ذلك؟

– نعم، أعرف ذلك، وأعرف أيضًا أنّ والدته على وشك الزواج بشخص آخر غير والده، إنني أقدر شعوره، فلابدّ من أنه يشعر باضطراب. ثم أضاف «آدم» وهو يبتسم:

– الآن بدأت أفهم الوضع، أليست لدى هذا الصغير المسكين أية هوايات؟ ألا يحب الألعاب الرياضية؟

– لقد فهمت من «كريستين» والدته، أنه لا يحبّ الألعاب الرياضية على الإطلاق، ولكّنه يهتم كثيرًا بكل ما يتصل بعلم الكيمياء،ولكنه كما ترى مازال طفلاً صغيرًا، لا يمكنه دراسة الكيمياء، حتى ينتقل إلى الفصل الثاني. ووقف «آدم» يحدّق من النافذة لبعض الوقت، وقد وضع يديه في

جيبي بنطلونه، ثم التفت إلى «سامانتا» قائلاً:

– سأحاول التحدّث مع السيد «جونز» مدرّس العلوم عن «جيمس»، فقد يمكننا السماح له بقضاء بعض وقت فراغه في المعمل؛ لمشاهدة بعض التجارب. ثم أضاف «آدم»، وقد بدا الحزن على وجهه:

– إنني لا أحب رؤية أحد الأطفال يبدو تعيسًا، كما يبدو هذا المسكين الآن. وكان «آدم» يتحدّث في لهجة من يعرف تمامًا معني أنّ يكون الطفل تعيسًا، ولأول مرّة، وجدت «سامانتا» نفسها تتساءل عن طفولة «آدم رويل»، وعلاقته بأسرته، وبعد فترة قصيرة، استعاد «آدم» طبيعته كمدير للمدرسة وسأل «سامانتا»:

– أعتقد أنه ليست لديّ فصول دراسية بعد ظهر اليوم، فهل هناك شيء ملحّ يحتاج إلى أخذ رأيي فيه؟ أو أية ارتباطات أخرى أو مقابلات؟ ونظرت «سامانتا» إلى المفكّرة الموضوعة على المكتب قبل أن تجيب بالنفي، فقال «آدم» في سخرية:

– يبدو واضحًا أن مؤامرتك قد نجحت بالفعل. ولم تعجب «سامانتا» بهذه اللهجة الساخرة التي يتحدث بها «آدم»، ولكنّها لم تهتم، فقد كانت تدرك أنّ «آدم» يعتقد أن جميع النساء متآمرات، وما هي بالنسبة إليه إلاّ امرأة كغيرها من النساء، ولابدّ من أنه يعتقد أنّ فكرة إيهام الجميع بارتباطه بها، لم تكن آنيّة بل ربما تكون قد خطّطت لها من قبل، فأغلقت المفكرة ووضعتها في مكانها على المكتب وهي تقول في برود:

– حسنًا، هذا ما كنا نسعى إليه، أليس كذلك؟ فابتسم «آدم» ابتسامة غامضة وهو ينظر إليها قائلاً:

– حقًا، هذا ما كنّا نريده تمامًا، والآن، سأكافئك على نجاح مؤامرتك، فأدعوك إلى الخروج معي بعد ظهر اليوم، فأنا أحتاج إلى بعض الأوراق

الخاصة بأبحاثي، وأعتقد أنني سأجدها مع أوراقي الأخرى التي تركتها في كوخي، فهل توافقين على الذهاب معي إلى «كوست وولدز» يا «سامانتا»؟ ونظرت «سامانتا» عبر النافذة، كان الجو جميلاً وقد ازدهرت الأشجار وبدت السماء صافية، وأحسّت برغبة في الخروج فوافقت على الذهاب معه، فقال:

– حسنًا، هل تقومين بتوصيلي بسيارتك؟ فإن سيارتي في الجراج حيث تجرى بها بعض الإصلاحات. وشعرت «سامانتا» بنوع من الإحباط وهو يقول ذلك، فقالت:

– يمكنك أن تستخدم السيارة دون الحاجة إلى صحبتي. ونظر إليها «آدم» لحظة، ثم ردّد في صوت هادئ:

– لقد طلبت منك أن توصليني بالسيارة، هل يمكنك ذلك؟

– بالطبع يمكنني ذلك، إذا كنت تثق بقيادتي. فنظر إليها طويلاً قبل أن يقول:

– ربما أريد أن أعرف ما إذا كانت مهارتك في القيادة على مستوى مهاراتك الأخرى، والآن بلّغي السيد «جونز» بأن يتولّى الإشراف بدلاً منّي إلى حين عودتنا، وسنذهب فور استعدادك، وقد نتناول غداءنا في الطريق. وبعد أن أبلغت السيد «جونز» برسالة «آدم»، أسرعت إلى غرفتها وبدّلت ثيابها، ووضعت ثوبًا رقيقًا للصباح أزرق اللون. كان «آدم» ينتظر إلى جانب السيارة عندما غادرت «سامانتا» المدرسة، وقد بدّل ملابسه أيضًا وتساءل وهما يركبان السيارة:

– أيّ طريق تفضلين أن نسلك؟ ربما كان الطريق عبر «برودواي» على التلال أطول قليلاً، ولكننا لسنا على استعجال. وجلسا في السيارة الصغيرة، وكانت تشعر بجسد «آدم» قريبًا منها نظرًا لضيق المقعد، وكانت يدها

تلمس ركبته عند كل انحناءة للسيارة، وعلى الرغم من أنها كانت تشعر بأن عينيْ «آدم» تتفحصانها، إلاّ أنها حاولت التركيز في القيادة وهي تشعر بنوع من الاسترخاء، وكانت أشعة الشمس الدافئة تنعكس على ذراعها العاري، وشعرها يتطاير مع النسيم الخفيف الذي يدخل عبر النافذة، وقد امتلأت السيارة بشذى الأزهار المتفتحة، وتنهّدت «سامانتا» بارتياح وهي تنطلق بالسيارة، وقالت في سعادة:

– أليس الجو جميلاً اليوم؟ وردّ «آدم» موافقًا على كلامها، ولكنه لم يكن ينظر من النافذة، فقد كان يثبت عينيه السوداوين على وجه «سامانتا»، وسألها «آدم»:

– هل تحبّين القيادة؟

– نعم، كان شيئًا مثيرًا للغاية أن أحصل على سيارة خاصة بي، وقد درّبني «ريتشارد بارنز» على القيادة في خلال وجوده هنا في العطلة الماضية، فهو مدرّب ممتاز. وردّ «آدم» في صوت بدا جافًا:

– حقًا!! وساد الصمت بينهما بعد ذلك حتى بداية الطريق إلى «برودواي»، فنزلا من السيارة ليتناولا بعض الشطائر، واقترحت «سامانتا» وهما يعودان إلى السيارة أن يتبادلا مقعد القيادة، وجلس «آدم» خلف عجلة القيادة وهو يبحث عن حزام الأمان، فلمست يده ركبتها فأحست بالدماء تندفع إلى وجهها، وهي لا تدري ما إذا كان قد فعل ذلك عن قصد، ونظر إليها «آدم» نظرة جانبية وهو يقول:

– لا داعي للانزعاج يا «سامانتا»، فأنا لم أتعمّد ذلك. وشعرت بالحرج، فقد كانت لدى «آدم» قدرة عجيبة على قراءة أفكارها، وتمنّت لو أنها لم توافق على الخروج معه، فهي تعتقد أن وقاحته تجاوزت الحد. وأشاحت «سامانتا» بوجهها بعيدًا عنه، وأخذت تنظر من النافذة، فسمعته يقول

لها:

– لا داعي لأن تستشيطي غضبًا يا «سامانتا»، ليس في هذا اليوم الجميل، أؤكد لك أن نياتي تجاهك نبيلة، على الرغم من أنّ ذلك صعب جدًا مع فتاة في مثل جمالك. وانطلق «آدم» بالسيارة، وأخذ يشرح لها معالم الطريق وهما يعبران «برودواي»، التي تعتبر من أجمل المناطق في الريف البريطاني. نسيت «سامانتا» تمامًا أن الرجل الذي يجلس إلى جانبها، هو «آدم» بجاذبيته التي لا تقاوم، وأخذا يتحدثان عن التاريخ والأزمان الماضية، حيث كانت المراعي منتشرة في كل مكان في «انجلترا»، وانطلقت السيارة تصعد بهما التلال، وبعد بضعة كيلومترات وصلا إلى نهاية الطريق الرئيسي، ودخلا في شارع ضيق يتجه إلى أعلى التل، ونظرت «سامانتا» حولها، كان المنظر رائعًا حقًا من هذا الارتفاع، فهتفت قائلة:

– أشعر وكأنني فعلاً فوق قمة العالم. وأخذت تنظر عبر النافذة إلى المراعي الخضراء التي تتناثر عند سفح التل، وظهرت الماشية وقد تضاءل حجمها، لتصبح مجرد نقاط بيضاء صغيرة وسط هذه الخضرة المترامية، وظهرت المنازل والطرقات وقد اختفت وراء غلالة رقيقة من الضباب، وتوقّف «آدم» بالسيارة أمام كوخ صغير من الحجارة، وشعرت «سامانتا» وهي تنظر إليه وسط هذا المنظر الرائع، وكأنها في حلم ضبابي وقال «آدم» بفخر وهو يشير إلى الكوخ:

–هذا هو كوخي، هل يعجبك؟ وقفزت «سامانتا» من السيارة في انفعال طفلة صغيرة وهي تهتف قائلة:

– إنه رائع، وأتوق إلى رؤيته من الداخل. وأخذ «آدم» يشرح لها وهما في طريقهما إلى الداخل، كيف أنه اشترى الكوخ من أحد الأصدقاء الذي كان قد اشتراه بدوره من أحد الرعاة، واتجها إلى غرفة الجلوس التي كانت

تستخدم أيضًا كمكتبة، وقد امتلأت بأرفف الكتب في كل مكان، وكان بالغرفة طاولة بيضاوية من خشب البلوط ومكتب صغير وعدد من الكراسي المريحة، وفتح «آدم» النافذة على مصراعيها، فامتلأت الحجرة بالهواء الرطب النقي، فنظرت «سامانتا» إلى «آدم» وهي تقول:

– الآن أعرف لماذا لا تستطيع التأقلم بسهولة مع جو المدرسة.

– ليس هذا تمامًا، ولكنني لا أحب أن أقوم بدور الرجل المسؤول، فهذا يضعني في مواقف تزعجني، وسكت قليلاً ثم قال:

– ولكنني أشعر بالأمان وأنتِ معي، أليس كذلك يا «سامانتا»؟ وردّت «سامانتا» وقد شعرت برنة السخرية في صوته:

– في أمان تام! والتقت نظراتهما في صمت للحظة، ثم اتجه «آدم» إلى المكتب وهو يقول:

– حسنًا، سنعلن الهدنة بيننا لبقية اليوم، والآن، يمكنك أن تسري عن نفسك قليلاً، ريثما أقوم أنا بأبحاثي، وربما أحتاج إلى مساعدتك بعد ذلك.

وتركت «سامانتا» «آدم» ينهمك في عمله، وأخذت تتجوّل في أنحاء الكوخ الذي كان مؤثثًا بطريقة بسيطة، وقد ألحق به مطبخ على الطراز الحديث، وامتلأ بجميع أنواع المعلّبات، وأخذت «سامانتا» تحدّث نفسها بأن «آدم» لابد من أن يكون مدركًا تمامًا لجميع الاحتياجات المنزلية، أو ربما كانت «أستيل» هي التي تقوم بشراء احتياجاته، ووجدت نفسها تستعيد ذكريات ذلك اليوم الذي أحضر «آدم» فيه «أستيل» إلى المدرسة، ألم يقض الليلة التي سبقتها في الكوخ؟ ربما لم يقضها وحده، ولكنّها طرحت هذه الأفكار جانبًا، فلا شأن لها بحياته الخاصة، ومن الطبيعي أن تكون له علاقات ببعض الفتيات في حياته، وإن لم يرق له أن يتزوج أيًّا منهنّ، وربما تصلح «أستيل نورتون» لمثل هذا الموقف، ولكن «سامانتا» كانت تريد

أن تتمتّع بحرّيتها الشخصية كـ «آدم» نفسه، وعند هذا الحد نفضت عن نفسها التفكير في «آدم» و «أستيل نورتون»، واتّجهت إلى الباب الخلفي حيث كانت توجد الحديقة الخلفية، وقد أحاط بها سور حجري قديم، ونفذت «سامانتا» من فتحة السور وتسلّقت التل حيث جلست فوق قمّته تنظر إلى الكوخ، وشردت بأفكارها بعيدًا، وجاءها صوت «آدم» لينتزعها من أفكارها، وسمعته يقول وهو يصعد التل في طريقه إلى مكانها:

– «سامانتا»، لقد وجدت ما كنت أبحث عنه في المخطوطات، والآن أشعر برغبة مفاجئة في العمل، هل تمانعين في البقاء قليلاً؟

– الأمر متروك لك، فأنت الرئيس. وابتسم «آدم» وهو يقول مازحًا:

– هذا هو الكلام الذي أحب أن أسمعه. قال ذلك وهو يسخر من منطقها، ربما أن فكرة عداوته للمرأة لم تكن بالجدّية التي تصوّرتها، وقالت «سامانتا» وهما يهبطان التل:

– يمكنك الاتصال بالسيد «جونز»، لتبلغه بأنّنا قد نتأخر قليلاً.

– لابدّ من أنك تمزحين، هل تعرفين كم يكلّفني ذلك في هذا المكان؟ على أية حال، لقد اشتريت هذا الكوخ لأبتعد تمامًا عن جميع المضايقات، بما في ذلك مضايقات الهاتف، وكان التل منحدرًا بشدّة بالقرب من الكوخ، وتعثّرت قدم «سامانتا» وكادت تسقط، فاندفع «آدم» ليحيطها بذراعه بقوة ليمنعها من السقوط، وظلاّ هكذا حتى وصلا إلى أسفل التل.كان من الواضح أن «آدم» يحاول أن يكون مهذبًا معها، ملتزمًا بالهدنة المعلنة بينهما طوال ذلك اليوم، وشعرت «سامانتا» بالارتياح لذلك، وفارقها لفترة شعورها بالتوتر والترقّب، وجلس «آدم» يعمل و «سامانتا» تساعده في تلخيص الأوراق، واستغرقها العمل تمامًا، وتنبّها إلى أن الساعة قد جاوزت السابعة مساء، وأخذ «آدم» يعبث بأصابعه في شعره، وقال وهو يرجع بمقعده إلى

الخلف:

– هذا أفضل ما أنجزته من عمل حتى الآن.ثم قال:

– دعينا الآن نأكل شيئًا، فإنني أكاد أموت جوعًا. واتجهت «سامانتا» إلى المطبخ وهي تؤكد كلامه، واختارت بعض المعلّبات، وبدا لها «آدم» في صورة لم ترها من قبل، متدفقًا بالحياة بطريقة صبيانية وهو يستحثها أن تحضّر الطعام، وجلسا يتناولان الطعام وهما يتجاذبان أطراف الحديث، مضى الوقت سريعًا، وقد انطلقت «سامانتا» تضحك في سعادة غامرة، وبينما هي ترفع بقايا الطعام، ألقت نظرة من النافذة، فرأت سحابة من الضباب الأسود الكثيف وقد بدأت تنتشر فوق المكان، فقالت لـ «آدم» وهي تحاول إخفاء قلقها الشديد:

–أعتقد أنه يجب علينا العودة سريعًا، فقد بدأ الضباب يزحف على المكان. وردَّ «آدم» قائلاً:

– لا تخشي شيئًا، فإن هذا يحدث دائمًا في هذه المنطقة، وأنا أعرف طريقي جيدًا. كانت «سامانتا» تشعر بخوف شديد من الضباب، منذ أن ضلّت طريقها في الغابة التي يسودها الضباب وهي طفلة صغيرة. فبدا القلق واضحًا على وجهها وهي تستحثّ «آدم» على العودة إلى المدرسة. ولمعت عينا «آدم» وهو يقول لها:

– ماذا حدث يا «سامانتا»؟ هل تخشين أن نضطر إلى البقاء هنا بمفردنا فترة الليل؟ ولما لم تكن «سامانتا» تحبّ شرح حقيقة شعورها له، فقد أشاحت بوجهها، فقال «آدم»:

– مسكينة أنتِ يا «سامانتا»، إنك لا تحبّين المزاح أبدًا. ثم وضع الأوراق في مكانها على الرف، واتجه معها إلى الخارج ليستقلا السيارة، وجلس «آدم» خلف عجلة القيادة، وجلست «سامانتا» بجواره وهي تنظر إلى الكوخ

خلفها، وتتمنّى لو أمكنها العودة إليه مرّة أخرى، ولم تنتبه إلى المحاولات التي كان يبذلها «آدم» لإدارة السيارة دون جدوى، ونزلت «سامانتا» من السيارة لتفتح لـ «آدم» غطاء المحرك، وبعد أن كشف عليه عاد «آدم» إليها برأسه إلى الداخل، وقد اكتسى وجهه بتعبير قاس وهو يقول:

– هل يمكن أن يكون هذا متعمدًا يا «سامانتا»؟ وشعرت «سامانتا» بقلبها يغص بين قدميها، وهي تسأل في تلعثم عمّا حدث. فأجاب «آدم» باقتضاب بأن الوقود نفذ، وبدا على «سامانتا» أنها تذكرت شيئًا فجأة وهي تقول:

– يا إلهي، إنني آسفة، كنت أنوي أن أملأ خزان الوقود، ولكنني نسيت.

– تنسين وأنت تعرفين أننا سنذهب إلى مثل هذا المكان المقفر. وأخذت «سامانتا» تعتذر في اضطراب شديد،لكن راعها أن يعتقد «آدم» أنها فعلت ذلك عن قصد، ولكنه بدا مقتنعًا تمامًا بذلك وهو يقول في سخرية لاذعة:

– كنت أعتقد أن الرجل هو الذي يلجأ إلى هذه الحيلة في مثل هذه المواقف، ونظرت «سامانتا» إليه في ذهول، وقد أدركت تمامًا معنى كلماته، واجتاحها غضب لم تشعر بمثله من قبل وهي تنفجر قائلة:

– كيف تجرؤ؟ ثم ارتفعت يدها دون وعي منها، لتستقر في صفعة قوية على وجه «آدم»، ثم اندفعت تهبط التل وهي تجري، والدموع تتسابق على وجنتيها، واستمرّت لمسافة طويلة قبل أن يتمكن «آدم» من اللحاق بها، وأحاطها بذراعيه بقوة ليمنعها من الاستمرار في الجري، وحاولت التملّص منه، لكن «آدم» جذبها بقوة لتصبح في مواجهته، ونظر إلى عينيها وهو يلهث ويقول:

– إلى أين تظنين أنك ذاهبة؟

– إلى أي مكان بعيدًا عنك. وأضافت وهي تنظر إليه وقد امتلأت عيناها

بالدموع:

– كفاني ما تحملت منك حتى الآن من وقاحة و شكوك. وطال وقوفهما و«آدم» ممسك بذراعها، ثم جذبها إليه بقوة ، وأطبق عليها في عناق طويل امتزج فيه الغضب بالعاطفة، وعندما رفع «آدم» وجهه شعرت «سامانتا» بجسدها كله يرتعش، وانتابها شعور غريب لم تعرفه أبدًا من قبل، وأخذ «آدم» نفسًا عميقًا وهو يقول:

– أعتقد أن هذا كان لابدّ من أن يحدث في أي وقت.

– لكن هذا لن يحل المشكلة، فإن علينا أن نعود إلى المدرسة. ثم التفت إليها قائلاً:

– هل تدركين ما قد يحدث لو قضينا الليل هنا بمفردنا في الكوخ؟ وبدا وكأنها فقدت القدرة أيضًا على التفكير، فقالت:

– أعتقد أنه سيثير التقوّلات في المدرسة. فلوى «آدم» شفتيه وهو يقول:

– أنا لا أعني المدرسة، المهم يجب أن نصل إلى «ستو» بأية طريقة، حيث يمكننا من هناك أن نجد سيارة توصلنا إلى المدرسة. قال «آدم» ذلك وهو يدفعها أمامه في طريق العودة، وعندما وصلا إلى المدرسة كانت الساعة قد أوشكت على العاشرة، ووجدت «سامانتا» «كريستين» في انتظارها، التي نظرت إلى وجهها فوجدته شاحبًا مرهقًا، فصحبتها إلى غرفتها حيث قدّمت إليها فنجانًا من الشاي المركز وهي تقول:

– اشربي هذا، فإنك تبدين مرهقة تمامًا. وأخذت «سامانتا» الفنجان وهي تقول:

– كانت المسافة التي قطعناها سيرًا على الأقدام طويلة جدًا . كانت «سامانتا» تحتاج بشدة إلى النوم بعد التجربة العاطفية العنيفة التي تعرضت لها، وما أعقب ذلك من مجهود شاق في طريق العودة، فصعدت إلى غرفتها

وحاولت النوم، ولكنّها لم تستطع، وقضت ليلها مؤرقة وهي تفكر فيما سيكون عليه موقف «آدم» منها في الصباح، هل سيكون غاضبًا منها؟ أم أنه بعد تفكير سيجد أنه كان قاسيًا معها؟ وأنها لم تتعمّد بالفعل عدم ملء خزان السيارة بالوقود، وارتعدت «سامانتا» وهي تتذكّر الموقف العنيف الذي كان بينها وبين «آدم»، وما أثارته فيه من غضب عنيف، ولكنها على الأقل استطاعت من خلال هذه التجربة أن تكتشف وهي بين ذراعي «آدم» فوق التل أنها ليست فتاة متبلّدة المشاعر، كما كانت تعتقد دائمًا من قبل، ولم تكن «سامانتا» تعرف ما إذا كانت تحب «آدم» حقًا! حتى ولو كانت لا تحبه كما كانت تؤكد لنفسها، فإنه بجاذبيته التي لا تقاوم ورجولته، استطاع أن يحرك في داخلها من العواطف ما لم تعرفه من قبل طوال حياتها، وحدّثت «سامانتا» نفسها بأنه يجب عليها التزام الحذر تمامًا في علاقتها مع «آدم» في خلال الفترة الباقية من هذه الدورة الدراسية، ولكنها وجدت قلبها يدقّ بعنف عندما دخل «آدم» إلى الغرفة ووقف قبالتها وهي تجلس إلى المكتب، وقالت دون أن ترفع عينيها إلى وجهه:

– صباح الخير. فردّ في لهجة جادة:

– صباح الخير، هل لديّ ارتباطات اليوم؟ وفتحت «سامانتا» المفكّرة الموضوعة على المكتب، ونظرت إليها وهي تقول:

– سيحضر السيد والسيدة «غريغوري» لمقابلتك في الساعة العاشرة والنصف.

– لماذا؟ هل لديكِ أية فكرة؟

– لقد كتبا يشرحان شعورهما بالقلق بشأن عدم تفهّم «بول» للرياضيات، ويودّان مناقشة هذه المسألة معك بوصفك المدير الجديد للمدرسة.

– آه! نعم، إنني أتذكر الآن، أرجوك استدع السيد «جونز»، فإنني أريد

الاستعانة برأيه في هذه المسألة، كما أنني أحتاج إلى رؤية التقارير الخاصة بهذا التلميذ للفترات الدراسية السابقة، وماذا بعد؟ هل هناك شيء آخر؟

– نعم، سيحضر بعض أولياء أمور التلاميذ الجدد ليتفقّدوا المدرسة، فهل ستصحبهم أنت في جولتهم؟ ونظرت «سامانتا» إلى أعلى، فلم تر سوى طرف الروب الجامعي الأسود الذي يرتديه «آدم»، ولا تدري لماذا شعرت في هذه اللحظة وكأن «آدم» يرتدي ثوبًا جنائزيًّا أسود يودع به اللحظات الجميلة التي قضياها معًا في الكوخ، معلنًا بذلك انتهاء فترة التفهّم الذي بدأ يسود بينهما، ثم ردّ «آدم» قائلاً:

– نعم، سأصحب أولياء الأمور في تجوالهم في أنحاء المدرسة، لكن أرجوك أن تعملي على استضافتهم في مكتبك، حتى أنتهي من مقابلتي مع السيد والسيدة «غريغوري»، هل من شيء آخر؟

– لا، ليست هناك أية ارتباطات أخرى، ولكنك وعدت بمشاهدة مباراة الكريكيت التي تقام بعد ظهر اليوم في فناء المدرسة. وتذكّرت «سامانتا» في هذه اللحظة موعد ذهابهما معًا إلى المسرح الذي من المفروض أن يكون هذا المساء، ولكنها لم تجرؤ على أن تسأل «آدم» إذا كان يتذكر هذا الموعد أم لا.

– حسنًا، سأتصفّح البريد قبل حضور «آل غريغوري». وتلاحقت ساعات الصباح وقد اتّسم سلوك «آدم» معها بالجدّية التامة، وبدا واضحًا لـ «سامانتا» أن «آدم» يريد أن يشعرها بطريقة غير مباشرة بأن كل ما حدث بينهما أمس في الكوخ، يعتبر أمرًا غير ذي بال بالنسبة إليه. وبينما كانت «سامانتا» تشرب فنجانًا من القهوة، دخلت «كريستين» إلى المكتب وهي تحمل بعض الشطائر التي وضعتها أمام «سامانتا» قائلة:

– لقد أحضرت لك بعض الطعام، فقد فاتك موعد الإفطار. فردّت «سامانتا»

في لهجة حاولت أن تبدو مرحة:

– يبدو أنني استغرقت تمامًا في النوم بعد كل هذا العناء الذي صادفته في تسلق التلال والمشي. لكن «كريستين» نظرت إليها في تشكك وهي تقول:

– لكن يا «سام»، هل أنت متأكدة أنك بخير ؟ لقد كان منظرك فظيعًا عندما عدت إلى المدرسة ليلة أمس.

– لا تقلقلي عليّ فأنا بخير. وكانت «سامانتا» لا ترغب الخوض في حديث مع «كريستين» عن أحداث الليلة الماضية، فحاولت أن تحوّل مجرى الحديث، وقالت:

– على فكرة يا «كريستين» لقد تلقيت رسالتين من فتاتين، بشأن الإعلان الخاص بطلب موظفين للمدرسة، وستحضر إحداهما صباح يوم الأربعاء القادم، أما الأخرى فستحضر في المساء، وأعتقد أنه سيكون عليك مقابلتهما معي، فكما تعرفين ستحلّ إحدى الفتاتين مكانك في العمل بعد زواجك. فقالت «كريستين»:

– آمل أن تكون إحدى الفتاتين على الأقلّ مناسبة لهذا العمل ويمكنها تسلّم وظيفتها فورًا، فقد أضطر إلى مغادرة المدرسة قبل انتهاء هذه الفترة الدراسية.

– هل تحدّد موعد زواجك بـ «هيغ»؟

– لقد تحدّد الموعد مبدئيًّا في الثالث عشر من شهر حزيران(يونيو)، أي بعد شهر تقريبًا، مما يتيح لنا الفرصة لنجد بديلة تحلّ مكاني حتى لاأسبّب أي متاعب بالنسبة إلى المدرسة. ثم استطردت «كريستين»:

– نسيت أن أخبرك يا «سام»، لقد قابلت السيد «جونز» في الصباح، وأخبرني بأنه سيسمح لـ «جيمس» بمشاهدة بعض التجارب التي تجري في المعمل، أليس هذا لطيفًا منه؟ وردّت «سامانتا» بالإيجاب وهي متعجبة،

لأن السيد «جونز» لم يذكر لـ «كريستين» أن «آدم رويل» هو الذي اقترح عليه هذه الفكرة، وربما يكون «آدم» قد طلب إليه ذلك. وأضافت «كريستين»:

– إنني أشعر براحة كبيرة لذلك، فإن اهتمام «جيمس» بأي شيء سيساعده كثيرًا في هذه الفترة من حياته، عندما أتركه لأسافر مع «هيغ» في رحلة شهر العسل إلى «إيطاليا»، إنني أشعر بقلق شديد تجاه «جيمس»، وآمل أن يتمكّن من التغلب على هذا الموقف الجديد دون أن يُحدث ذلك أي أثر في نفسه، إنّ «جيمس» كما تعلمين حسّاس للغاية، ولا يمكن أبدًا أن أعرف شيئًا عن أفكاره أو انفعالاته، فهو يفضّل الاحتفاظ بها لنفسه. واغرورقت عينا «كريستين» بالدموع وهي تضيف قائلة:

– أليس من المخجل حقًا، أن يبني إنسان سعادته على أنقاض سعادة إنسان آخر؟ إنني أعرف أنّ زواجي سيعود بالفائدة على «جيمس»، ربما على المدى البعيد، ولكنه على الأرجح لن يتقبّل هذا الأمر ببساطة، على الأقل الآن. ونظرت «كريستين» إلى «سامانتا» في توسّل وهي تقول:

– أرجوك يا «سام» الاهتمام به بعد ذهابي، لا أعني أن تدلّليه، لكن كل ما أطلبه منكِ هو أن يكون بخير دائمًا.

– بالطبع سأعمل على ذلك يا «كريستين»، فاطمئني. وكانت «سامانتا» تشعر بأن «آدم» أيضًا سيعامل «جيمس» بعطف وحنان بعدما رأت موقفه منه في البهو، لكنها لم تقل ذلك لـ «كريستين»، وبدا على «كريستين» أنها لا تستطيع التغلّب على انفعالاتها، وهي تشكر «سامانتا» على وعدها بالاهتمام بـ «جيمس» في غيابها، ثم حولت مجرى الحديث، وقالت:

– والآن، ماذا عن أخبارك يا «سام»؟ وكيف ستحضرين سيارتك؟ ونظرت إليها «سامانتا» في بلاهة وهي تقول:

– تصوّري، لم أفكّر في هذا الأمر. ثم مرّت بيدها على جبهتها وهي

تقول:

– لا أدري ما الذي أصابني اليوم؟

– هل يمكنني مساعدتك؟ فليس لديّ ما يشغلني بعد ظهر اليوم، وسأتوجّه إلى «أوكسفورد» لمقابلة «هيغ»، ويمكنني أن أوصلك إلى «ستو» في طريقي لتحضري السيارة.

– شكرًا يا «كريستين»، تبدو فكرة معقولة. ثم بدا عليها وقد تذكّرت شيئًا فجأة، فقالت وهي تهزّ رأسها في يأس:

– لكن، من المفروض أن أذهب إلى المسرح مساء اليوم في «ستراتفورد» بصحبة «آدم رويل»، ولو أنني لا أعرف ما إذا كان راغبًا في الذهاب معي؟ فإنه كان غاضبًا منّي أمس. وقطّبت «كريستين» وهي تقول:

– أعتقد... ولكنها لم تكمل حديثها، فقد فتح باب غرفة المدير في هذه اللحظة، وسمع صوت «آدم» وهو يودع آل «غريغوري» قائلاً:

– أرجو أن تطمئنّا تمامًا، فسأبذل كل جهدي لمساعدة «بول». وبعد ذلك خرجت «كريستين» من الغرفة، وقضى «آدم» بقية الصباح في اجتماعات مع أولياء أمور التلاميذ، مما أتاح لـ «سامانتا» الوقت الكافي لنسخ الأوراق التي أملاها عليها في أثناء وجودها في كوخه، وحاولت «سامانتا» التركيز في عملها، لكن صورة «آدم» كانت تلحّ على ذهنها، ولم تفارقها للحظة وهي تقوم بالطباعة، وأخذت تسترجع في مخيّلتها صورة «آدم» وهو يبحث في الكتب، وهو يملي عليها مذكراته وقد أغمض عينيه قليلا لتلامس رموشه الطويلة وجنتيه، وكانت «سامانتا» تشعر وهي تقرأ ما كتبته بالإثارة نفسها التي شعرت بها و «آدم» يملي عليها هذه الأوراق، واستغرقت «سامانتا» في التفكير تمامًا، حتى أنها لم تشعر بدخول «آدم» إلى الغرفة، وانتبهت فجأة إلى صوته يأتي من خلفها وهو يقول:

– لقد رن جرس الغداء، ألم تسمعيه؟ وانتفضت «سامانتا» والتفتت إليه بسرعة وهي تقول في تلعثم:

– لا، لم أسمعه، إنني... وتوقّفت عن الكلام، فقد شعرت بقلبها يدقّ بعنف، كما يحدث دائمًا عندما يدخل «آدم» إلى الغرفة فجأة، وكانت «سامانتا» تحاول إقناع نفسها بأنّ ذلك ربما يعود إلى شعورها برجولة «آدم» فقط وليس لأنها تحبّه، لكن يجب عليها التغلّب على مشاعرها مهما كانت، وقال «آدم» وهو ينظر إلى آلة الطباعة أمامها:

– أرى أنك تقومين بنسخ أوراقي، وأرجو ألا تغفلي عن شيء قد يكون مهمًا، على الأقل بالنسبة إليّ. ثم توقّف قليلاً وهو يضيف:

– أعرف أنها ليست كذلك بالنسبة إليكِ، وخاصة بعد الطريقة السخيفة التي تصرّفت بها معك أمس. ولمّا لم ترد «سامانتا» استطرد قائلاً وهو ينحني عليها:

– إنني آسف يا «سام» عما بدر مني أمس، هل تغفرين لي؟ ولم تدر «سامانتا» ماذا يقصد بالغفران! هل يعني أن تغفر له شكوكه فيها أم عناقه؟ ولكنّها ردّت بالإيجاب، فأيًا كان الأمر فما يهم الآن هو الود الذي اتصل بينهما من جديد، وقال «آدم»:

– إنك لطيفة للغاية يا «سام»، كيف أعرف أنك لن... لكن... حسنًا... فلندع الحديث في هذا الموضوع الآن. قال ذلك وهو يضع أمامها على المكتب مفاتيح السيارة، فقالت «سامانتا»:

– إن «كريستين» ستذهب إلى «أوكسفورد» بعد ظهر اليوم، وقد وافقت على أن توصلني إلى «ستو» لأحضر السيارة. لكن «آدم» قاطعها قائلاً:

– إن السيارة بالخارج، فقد وصلت منذ بضع دقائق فقط. وحملقت «سامانتا» إلى وجهه وهي تقول:

– لم أفهم... كيف؟

– لقد اتفقت مع الجراج في «ستو» على إحضارها إلى هنا، وكان هذا أقل ما يمكن أن أفعله... على أية حال، سنحتاج إلى سيارة الليلة للذهاب إلى المسرح في «ستراتفورد»، وسيارتي كما تعرفين لم أتسلّمها بعد، متى نذهب؟ هل نذهب في السادسة والنصف؟ وهزّت «سامانتا» رأسها وهي تردّد قوله:

– في السادسة والنصف. ودخل السيد «جونز» إلى الغرفة في هذه اللحظة، وخرج مع «آدم» وهما يبحثان مشكلة «بول»، وجلست «سامانتا» في كرسيها وقد شعرت براحة كبيرة، وتنفّست بعمق وهي تفكّر في أن التعامل مع «آدم رويل» يحتاج إلى جهد كبير؛ لأنه يشبه ركوب أحد القطارات في مدينة الملاهي، يصعد بالإنسان إلى أعلى، ثم يهبط به فجأة إلى أسفل. إنّها لم تقابل في حياتها شخصًا مثل «آدم رويل» هذا الإنسان المتقلب، الذي يكاد يدفعها إلى الجنون، ولكنه اعتذر لها وسيذهبان إلى المسرح معًا، وعندما حان موعد الغداء توجّهت «سامانتا» إلى غرفة الطعام وقد علت فمها ابتسامة رقيقة.

- 8 -

في المساء أخذت «سامانتا» تستعدّ للذهاب إلى المسرح، وبدت وهي تنتقي أجمل ثيابها، وكأنها ذاهبة إلى أول موعد غرامي لها وليس إلى المسرح مع «آدم» تنفيذًا للخطة التي اقترحتها، وبدت «سامانتا» رائعة وقد ارتدت ثوبًا جميلاً من الجورجيت تهدّل منسدلاً على جسمها النحيل في تموّج أنيق، وشعرها الأشقر وقد صفف بطريقة أبرزت جمال وجهها، وعندما نظرت

«سامانتا» إلى المرآة تلك الليلة أدهشها أنّ وجهها قد اكتسى برونق عجيب زاده جمالاً، وبعد أن اطمأنت على زينتها نزلت إلى البهو الذي كان خاليًا من أي شخص في ذلك الوقت، وفكرت «سامانتا» في أن ذلك لا يتماشى مع الخطة التي وضعتها مع «آدم» لإظهار ارتباطهما أمام الجميع، لكن لسبب لم تكن تدريه شعرت بأنها لم تعد تهتمّ بذلك. كان «آدم» ينتظرها بجانب السيارة وهو يرتدي حلّة داكنة اللون، وشعرت بقلبها يخفق كالمعتاد كلّما وقعت عيناها عليه، ونظر إليها «آدم» مبتسمًا وهو يقول :

– يا لك من فتاة جميلة، إن مظهرك رائع. واضطربت «سامانتا» قليلاً، ولكنها ابتسمت ابتسامة عريضة وهي تردّ قائلة:

– يمكنني أن أكون أفضل من ذلك كثيرًا لو أنني حاولت. ورفع «آدم» حاجبيه وهو يقول:

– ربما من أجل «ريتشارد بارنز»!

– ربما! قالت «سامانتا» ذلك وهي تسلّمه مفاتيح السيارة، ثم سألته:

– هل تتولى أنت القيادة؟ وتوقّف «آدم» قليلاً أمام باب السيارة وأخذ ينظر إليها، ثم قال:

– ربما كان من الأنسب أن نذهب لمشاهدة «هاملت» بدلاً من «ماكبث» فقد كان «هاملت» يعاني أيضًا المتاعب مع النساء. وجلست «سامانتا» إلى جانبه في السيارة وهي تقول:

– كنت أتساءل إذا كان من الأفضل لو أننا عرضنا على الآنسة «بيلي» والآنسة «ترامب» توصيلهما معنا إلى المسرح؟ قالت «سامانتا» ذلك في محاولة منها لمعرفة ما إذا كان «آدم» ينظر إلى خروجهما معًا الليلة على أنه مجرّد تنفيذ للخطة التي دبراها معًا، فقال «آدم»:

– لقد فات الأوان، فقد رأيتهما وهما تستقلان سيارة أجرة، وكنت أتمنّى

أن أراهما وهما تركبان دراجة «ترامب» البخارية. ومنعت «سامانتا» نفسها من الضحك وهي تتخيل هذا المنظر، ثم قالت:

– إنني معجبة بالآنسة «ترامب».

– وأنا كذلك معجب بها. وسكت لحظة، ثم قال:

– ألم تدركي بعد يا «سامانتا» أن هذه هي طريقتي في الحديث عن الأشخاص الذين أعجب بهم؟ إنني أحب الجميع هنا في المدرسة ما دمت لا أتعرّض لمضايقاتهم أو يدعونني إلى الخروج معهم.

– وماذا عنّي؟ لقد كنت أنا التي دعوتك إلى الخروج معي، هل يعني هذا أنك لا تحبني؟

– أنتِ شيء آخر، وأرجو أن تتوقفي عن استفزازي وأنا أدور بالسيارة في هذا المنحنى، وإلاّ وجدنا أنفسنا في إحدى الحفر. بدا «آدم» لـ «سامانتا» في حالة مرحة مشجّعة، فشعرت بالاطمئنان إليه، واسترخت في مقعدها إلى جواره وأخذت تنظر من نافذة السيارة. كان الجو صيفًا والطبيعة ساحرة من حولهما، وزقزقة العصافير تملأ المكان وهي تسارع إلى أعشاشها فوق الأشجار تصطف على جانبي الطريق، وفجأة وجدت «سامانتا» نفسها تتساءل إذا كانت على صواب فيما تفعله، ولكنها توقفت عن التساؤل، فقد كانت تشعر بنوع لم تألفه من السعادة وهي تجلس إلى جانب «آدم»، ومضت بهما السيارة وقد لفّهما الصمت حتى وصلا إلى المسرح، وتركا السيارة في مكان بعيد عن الزحام وسارا في الحديقة الكبيرة التي تحيط بالمسرح وقد امتلأت بتماثيل شخصيات «شكسبير» المسرحية، وهي تحيط بتمثال برنزي لـ «شكسبير» نفسه، وقال «آدم» وهو ينظر إلى وجه «شكسبير»:

– لقد عرف «شكسبير» كل شيء عن النفس البشرية، فالمرء لا يحتاج

لدراسة علم النفس إذا ما درس «شكسبير» وفهمه، ويمكن لأي شخص أن يجد نفسه في أحد هذه التماثيل. فهزّت «سامانتا» رأسها وهي تقول:

– نعم، لكن المهمّ هو أن تعرف نفسك، وإذا حدث أن عرفت، فقد لايعجبك ذلك. ونظر إليها «آدم» وقد اكتسى وجهه بتعبير غريب وهو يقول:

– يا لك من طفلة فيلسوفة، إنك تدهشينني دائمًا يا «سامانتا». فردّت بلهجة تمثيلية رزينة:

– شكرًا أيها المدير، ولكنني لست طفلة.

– لست طفلة! قال «آدم» ذلك في سخرية خفيفة، ثم أضاف بصوت خافت:

– ربما لا تكونين. وساد الصمت بينهما فترة وهما يسيران وسط الحديقة، وقد انعكست أضواء المسرح على صفحة النهر، وشعرت «سامانتا» وهي تسير بجانب «آدم»، وكأن شحنة كهربائية تسري في جسمها، فحاولت إقناع نفسها بأن ما تشعر به ما هو إلاّ الانجذاب الطبيعي بين رجل وفتاة، وبعد لحظة شعرت بيد «آدم» وهي تبحث عن يدها لتمسك بها. لم تكن هذه هي المرّة الأولى التي تذهب فيها إلى المسرح «ستراتفورد» لمشاهدة مسرحيات «شكسبير»، وعلى الرغم من ذلك كانت تحسّ بشعور مختلف تمامًا في هذه المرّة وهي تدخل إلى المسرح وبجانبها «آدم رويل»، وبدأ العرض المسرحي واستغرقت «سامانتا» تمامًا في الاستمتاع بالمسرحية، حتى أنها لم تستطع انتزاع نفسها من الجوّ التاريخي الذي نقلتها إليه أحداث المسرحية، وأخيرًا انتهى العرض، وسألها «آدم» وهما يخرجان معًا في الزحام عن رأيها في المسرحية، وقال لها:

– كنت تستمتعين بكل دقيقة من وقتك، فقد كنت أراقبك. و في أثناء

سيرهما في أحد ممرات المسرح، فوجئت «سامانتا» بـ «آدم» ينحني عليها قليلاً وهو يقول:

– لا تنظري الآن إلى الوراء، فإن الآنسة «ترامب» والآنسة «بيلي» خلفنا مباشرة، وربما تكون هذه فرصة مناسبة لتنفيذ خطتنا. قال «آدم» ذلك وهو يحيط كتفيها بذراعيه ويقربها منه في ودّ ظاهر. وشعرت «سامانتا» بملمس ذراعه الدافئ على كتفيها، وودّت للحظة لو أنها مالت برأسها إلى كتفه. وجاءها صوت «آدم» يهمس في أذنها:

– ما رأيك، هل أقوم بدور المحب بطريقة مقنعة؟ ورفعت «سامانتا» وجهها إليه وقلبها يخفق بشدّة، وردّت عليه ببرود وهي تحدث نفسها بأنه يقوم بدوره بطريقة ممتازة فعلاً وقالت:

– لابدّ من أنك تدرّبت كثيرًا على القيام بهذا الدور.

– إنه لشيء غريب حقًا، وربما لا تصدقينني يا «سامانتا»، إذا قلت لك إنني لم أتدرب كثيرًا على هذه المواقف كما تعتقدين. واستطرد قائلاً:

– ربما كنت أنتظر الفتاة المناسبة. ومرّة أخرى برزت أمام عيني «سامانتا» صورة «أستيل نورتون»، تلك الفتاة التي كان «آدم» يتحدّث عنها بإعجاب شديد. وهنا شعرت «سامانتا» أنها أخطأت في الاشتراك في هذه المهزلة مع «آدم»، ثم قالت في برود:

– أظن ليس هناك ما يدعو إلى أن تقوم بدورك بهذه الدرجة من الإتقان. فابتسم «آدم» وهو يذكرها بأن الفكرة فكرتها، ثم قال:

– وما الذي يجعلك تعتقدين أنني أمثّل؟ وشعرت «سامانتا» بالرجفة تسري في جسدها من جديد، وهي تسمعه يقول ذلك في صوت عميق، ورفعت إليه وجهها ونظرت إليه بعينين متسائلتين، وفي هذه اللحظة سمعا صوت الآنسة «ترامب» وهي تحيّيهما بصوت عال، ثم لحقت بهم

الآنسة «بيلي»، وأخذ الجميع يتجاذبون أطراف الحديث حول المسرحية. وابتسمت «سامانتا» وهي ترى «آدم» يتحدّث إليهما بطريقة مهذّبة للغاية، وتمنت ألاّ يعرض عليهما توصيلهما بالسيارة، وشعرت براحة عميقة عندما سمعته يعتذر لهما، ثم يضع يده في ذراعها وهو يدفعها بعيدًا عن الزحام، ويقول:

– لقد حجزت مائدة للعشاء، هل توافقين؟ وشعرت لأول وهلة بالسعادة، إذ ستتاح لها فرصة أطول للاستمتاع بهذه الليلة الجميلة، ولكنها قالت:

– لم يكن من الضروري أن تفعل ذلك.

– أعتقد أن ذلك كان ضروريًا لسببين: الأول أننا سنكون أكثر إقناعًا في تمثيل دورنا لو أننا تأخرنا في العودة إلى المدرسة، والثاني لأنني كنت على يقين من أنك ستشعرين بالجوع. واتجها معًا إلى المطعم وكان العشاء ممتعًا، وقد جلسا يتحدّثان عن المسرحية، وشعرت «سامانتا» بالسعادة تغمرها فتنهدت وهي تقول:

– هذا شيء رائع حقًا، ولم أدرك كم أنا جائعة، فقد انشغلت في العمل ولم يكن لديّ الوقت لتناول الطعام قبل خروجي. فنظر إليها «آدم» وهو يقول:

– إنك تهتمين بعملك في المدرسة كثيرًا، أليس كذلك؟

– أعتقد ذلك فعلاً، فإنني أشعر بطريقة أو بأخرى بأنني أشغل المكان الذي كان من المفروض أن يشغله أبي. واغرورقت عينا «سامانتا» بالدموع عند ذكر والدها، ولكنها أضافت وهي تحاول التغلب على عواطفها:

– لهذا السبب أجد نفسي مسؤولة عن المدرسة في خلال فترة تغيّب العم «إدوارد» فنظر إليها «آدم» وهو يبتسم قائلاً:

– على أية حال سنعمل معًا على أن يمضي كل شيء على ما يرام، فأنتِ

لست وحدكِ الآن، لأنني معك. ونظرت إليه «سامانتا» وهو يدفع فاتورة الحساب، واسترجعت كلماته حين قال لها: «لقد استحوذتِ عليّ» وتمنّت لو أنه كان يعني ما يقوله، ولكنها كانت تدرك تمامًا أنه لا يمكن لأية فتاة أن تمتلك «آدم رويل» في علاقة يسودها الحب والثقة، لأنه ببساطة لم يخلق ليكون هذا الرجل، وفي طريق العودة إلى المدرسة بدا على «آدم» أنه يفضّل السكوت، ولكن «سامانتا» كانت تخشى فترات الصمت التي تسود بينهما، لأنها تسبّب لها نوعًا من التوتر فحاولت استدراجه للحديث، فسألته عن خططه بالنسبة إلى المستقبل. فأجابها بأنه سيعمل في المدرسة الكبيرة مع بدء الفترة الدراسية القادمة، وأنه سيقيم قريبًا من المدرسة فسألته:

– لكن هل ستحتفظ بالكوخ؟ فردّ بالإيجاب قائلاً:

– إنه ملاذي الوحيد، وسأقضي فيه معظم إجازاتي لأتمكن من الكتابة. وقالت «سامانتا» وهي تبتلع تنهيدة صغيرة:

– يبدو أنك رتبت كل شيء. وسألت «سامانتا» نفسها إذا كان موضوع الزواج قد دخل في حسابه وهو يضع خطة حياته، واسترجعت في ذهنها صورة الكوخ الصغير فوق التل، ولكنها تنبّهت إلى صوت «آدم» وهو يقول لها إنهما قد وصلا إلى المدرسة، ونظر «آدم» إلى مبنى المدرسة الذي كان يسبح في الظلام باستثناء بعض الضوء الذي كان ينبعث من نافذة أونافذتين، وقال:

–إنني أتساءل ما إذا كان أحد يتلصص علينا الآن ليرانا عند عودتنا؟ ثم نظر إليها قائلاً:

– هل نستأنف دورنا يا «سامانتا»؟ وسادت فترة صمت ردّد بعدها سؤاله هذا مرة أخرى وهو ينظر إليها، والتقت نظراتهما في ضوء السيارة الخافت،

www.rewity.com

ومدّ «آدم» يده ليضعها على المقعد حول كتفيها، وارتجفت وهي تشعر بأصابعه تتحسس كتفها العاري، فأغلقت عينيها وشعرت به وهو يجذبها بقوّة، والتصقت «سامانتا» به وهي تبادله عاطفته في عنف لم تعرفه من قبل، وقد شعرت بأنها كانت تتوق دائمًا إلى مثل هذه اللحظة، وأخذ «آدم» يربت شعرها، ثم نظر إلى عينيها وهو يقول في صوت حالم:

– أعتقد أنني وقعت في الحب يا «سامانتا»، وأنني أخيرًا وجدت فيك ضالتي المنشودة. وتنبّها في هذه اللحظة إلى ضوء سيارة قادمة، وسمعا صوت إطاراتها وهي تقف بصورة مفاجئة بالقرب منهما، وفتحت «سامانتا» باب السيارة، وما كادت تنزل منها حتى فوجئت بشبح يتجه إليها بسرعة، وسمعت صوت «ليزا» المنفعل وهي تقول:

– شكرًا لله إنني وجدتك. ثم اقتربت منها وهي تقول:

– لقد حضرت لأحتمي عندك، هل يمكنك السماح لي بالدخول إلى المدرسة دون أن يراني هذا المتوحش «آدم روبل»؟ فقد وقعت مشادّة عنيفة بيني وبين «روبرت» وتوقفت «ليزا» عن الحديث، فقد رأت شخصًا آخر يخرج من السيارة، ثم قالت:

– آسفة يا «سامانتا»، لم أكن أعرف أن أحدًا بصحبتك. وبعد لحظة من الصمت الحرج قالت «ليزا»:

– ألا تقدميني لصديقك؟ واقتربت من السيارة، وبدا «آدم» وقد انعكس الضوء على وجهه، ورأت «سامانتا» «ليزا» وقد تسمّرت في مكانها فجأة، ثم سمعت صوت «آدم» يقول:

– لا داعي لمقدّمات، فإننا نعرف بعضنا، أليس كذلك يا آنسة «غولد»؟ أم أنكِ السيدة «غولد» الآن؟ لم تنطق «ليزا» بل وقفت تحملق إلى «آدم»، وبدا وجهها شاحبًا للغاية، وأخذت «سامانتا» تنقل بصرها بينهما وهي لاتدري

تمامًا حقيقة الموقف بينهما، ثم قالت أخيرًا:

– لا داعي لأن نقف في الخارج هكذا. ولمست يد «آدم» في محاولة لتهدئته، ولكنه دفع يدها وهو يهزّ رأسه في حركة عصبية، وقال:

– سأتركك الآن، وعليك أن تتأكدي من إغلاق السيارة. وما إن دخل «آدم» إلى المدرسة حتى انفجرت «ليزا» تضحك في عصبية واضحة وهي تقول:

– يا له من حظ سيئ، فهذا آخر شخص أود رؤيته في هذه اللحظة، لكن لم يكن أمامي سوى المجازفة بالمجيء إلى هنا، فقد طردني «روبرت» خارج المنزل بعد أن عاد فجأة من سفره فوجدني مع «روي ماذرز»، وحاولت أن أشرح له الأمر، ولكنه لم يستمع إليّ. ثم انفجرت باكية وهي تقول:

– أوه يا «سام»، لقد كان الأمر فظيعًا. وأخرجت «سامانتا» منديلاً من حقيبتها ووضعته في يد أختها، ثم أغلقت باب السيارة وهي تقول:

– تعالي ندخل، هل يعرف «روبرت» بوجودك هنا؟

– لا، فقد أسرعت بالخروج من المنزل، كان متأثرًا جدًا. فقالت «سامانتا» في هدوء وهي تصحبها إلى الداخل:

– حسنًا، يجب أن تتصلي به لتبلغيه بذلك. واتجهت «سامانتا» إلى الهاتف تقرّبه لـ «ليزا» التي نظرت إليه في رعب شديد، ثم قالت:

– لا أستطيع ذلك، ليس الليلة على الأقل، ربما في الصباح. ولكن «سامانتا» رفعت السماعة وهي تقول بلهجة آمرة:

– اتصلي به الآن وإلاّ فعلت أنا ذلك. فارتعش فم «ليزا» وهي تقول لأختها:

– كيف يمكنك أن تفعلي بي هذا يا «سام»؟ إنك أختي ولابدّ من أن تتعاطفي معي. فردت «سامانتا» قائلة في برود:

– إنني لا أشعر برغبة في التعاطف معك، هل أطلب لك رقم المنزل؟ قالت

www.rewity.com

ذلك وهي تدير قرص التليفون بالفعل، ولمّا سمعت صوت «روبرت» على الطرف الآخر، سلّمت السماعة لـ «ليزا»، ثم خرجت من الغرفة بعد أن أغلقت الباب وراءها، وبعد حوال عشر دقائق خرجت «ليزا» من الغرفة. كان وجهها مازال شاحبًا، ولكنه خلا من مظاهر الخوف، وقالت في لهجة اتسمت بنوع من الغرور:

– إن «روبرت» سيحضر ليعيدني إلى المنزل في الحال. ثم أضافت وهي تبتسم:

– شكرًا يا «سام» لأنك فعلت ذلك، فأنت دائمًا فتاة عاقلة. فردّدت «سامانتا» قولها بصوت جاف وهي تفكر في موقفها من «آدم»:

– فتاة عاقلة! لا أعتقد ذلك. لقد شعرت «سامانتا» بأنها اقترفت الحماقة الكبرى حين وقعت في حب «آدم»، واتجهت إلى المطبخ لإحضار فنجان من الشاي لـ «ليزا»، وهي تسترجع موقفها مع «آدم» قبل مجيء «ليزا»، وملمس شعره وهي تتخلله بأصابعها. غير أن عينيها اغرورقتا بالدموع وهي تستعيد صورته وهو يدفع يدها بعيدًا في حضور «ليزا»، وشعرت بقلق غامض وحاولت أن تطمئن نفسها بأنّ الغد كفيل بأن يدفن غضبه بين طيّاته، ولم تستطع النوم إلاّ بعد أن أقنعت نفسها بأنّ أول شيء عليها أن تفعله في الصباح، هو محاولة معرفة كل شيء عن حقيقة الموقف بين «آدم» و «ليزا»، ولسوء حظ «سامانتا» كان اليوم التالي هو الأحد، وكان من الصعب عليها أن تجتمع بـ «آدم»؛ إذ كان مشغولاً بالعديد من اللقاءات، وشعرت في المرات القليلة التي التقت به فيها مصادفة، بأنه يتحاشى توجيه الحديث إليها. وعندما ألقت «سامانتا» نظرة جانبية إلى وجه «آدم» وهما يجلسان في الكنيسة لحضور قداس يوم الأحد، رأت فيه وجه «آدم» عند أول لقاء رأته فيه بكل ما كان ينبض فيه من مظاهر الوقاحة والقسوة،

ومضى اليوم و «آدم» يحاول تحاشي الانفراد بها، بينما «سامانتا» لا تجد في نفسها الشجاعة لتذهب إليه في غرفته، وبحثت «سامانتا» عن «كريستين» لمناقشتها في بعض أمور العمل، فوجدتها وقد انهمكت في تنظيم غرفة المشرفة، فبادرتها بالسؤال:

– هل تؤدين عملاً في يوم الأحد يا «كريستين»؟

– إنني أعد الغرفة لحضور بديلتي.

– ولكنها لن تحضر قريبًا.

– لقد حدث بعض التغيير، ألم تعرفي ذلك؟ لقد علمت من السيد «رويل» أنه اتفق مع إحدى الفتيات لتتسلّم العمل في خلال الفترة المتبقية من الدراسة.

وسألت «سامانتا» في تعجّب:

– وهل ذكر اسمها؟

– لقد قال إنها على درجة كبيرة من الكفاءة. ثم قالت بعد تفكير:

– وقال إن اسمها «نورتون» نعم «أستيل نورتون». شعرت «سامانتا» بغضب مفاجئ وهي تحدّث نفسها: إذًا، هذه هي الطريقة التي يحاول بها «آدم» التعامل معها. إنه يريد إحضار الآنسة «نورتون» لتعمل في المدرسة، متجاهلاً وجودها تمامًا وكأنه يتعمد ذلك. ولم تدر «سامانتا» كيف غادرت الغرفة وهي تتجه مهرولة في طريقها إلى غرفة «آدم»، ووجدت نفسها أمام الباب تطرقه لتدخل دون تردد. وقفت «سامانتا» في مواجهة «آدم» وهو يجلس إلى المكتب، وقد تناثرت الأوراق من حوله، وسألها دون أن يرفع وجهه عما تريد، وقد بدت لهجته كأنه يشعر بالضيق لأنها قاطعته في عمله. قالت «سامانتا» من غير مقدمات:

– علمت أنك سمحت لنفسك بالاتفاق مع «أستيل نورتون» على العمل بالمدرسة. فرفع وجهه وقد ارتفع حاجباه قليلاً، ثم قال:

– نعم، فعلت ذلك، هل لديك اعتراض على الآنسة «نورتون»؟

– بالطبع لا، فإنني لا أكاد أعرفها، ولكنني أعتقد أنه كان من اللائق أن تبلغني أنت بذلك بدلاً من أن أسمع به من غيرك. وبدا وجه «آدم» وهو ينظر إليها خاليًا من كل تعبير، ثم وقف وظهره إليها والتفت فجأة وهو يقول:

– حين رأيتك لأول مرة وجدت في منظرك صورة طبق الأصل للآنسة «غولد»، فسألتك إذا كان لك أخت فأجبتِ بالنفي، وكان ذلك كذبًا سافرًا منك. وارتجفت «سامانتا»، ولكنها تمالكت نفسها وهي تقول:

– إنني لم أكذب، فقد كنت تسأل إن كان لي أخت توءم. واستطردت «سامانتا»:

– لقد كذبت عليك، ولكنني كنت أعتقد أنني على حق فيما أقول، فأنا أعرف ما حدث بينك وبين «ليزا» منذ أربع سنوات، ولم أكن أريد أن أحيي الذكريات المؤلمة. فرد «آدم» في صوت به رنة سخرية باردة:

– حقًا! لقد فكرت بطريقة سليمة!

– والآن وقد عرفت لماذا فعلت ذلك، كل ما أريده هو أن تمرّ هذه الفترة الدراسية دون مشاكل. والتقت نظراتهما وظلاّ هكذا لفترة من الوقت، وقد بدت على وجه «آدم» مظاهر الحيرة، ثم اتجه إلى المكتب وهو يقول:

– لا أريد التحدث في هذا الأمر الآن، فهو لا يعدو أن يكون مسألة شخصية، والآن بالنسبة إلى المشرفة الجديدة، كنت أنوي أن أخبرك بهذا الأمر غدًا في خلال ساعات العمل، فقد وجدت أنه من الأفضل الاستعانة بأية فتاة تقبل العمل بصفة مؤقتة إلى أن يعود السيد «بارنز». وبدا وكأن «آدم» يريد إنهاء المقابلة، فاتجهت «سامانتا» إلى الباب، ولكنها شعرت بأن الموقف مازال كما هو. التفتت إليه مرة أخرى وهي تناديه وتمدّ إليه

يدها في استعطاف، فنظر إليها نظرة سريعة ثم أشاح ببصره وهو يقول:

– «سامانتا» أرجوك أن تنسي كل شيء عن هذا الموضوع، وأرجوك لا داعي للاستمرار في التمثيل. فرفعت «سامانتا» رأسها في تحدٍ وهي تقول إنها لاتمثل، ثم أسرعت بالخروج من الغرفة. وتوجّهت «سامانتا» إلى غرفتها، فقد شعرت برغبة شديدة في الانفراد بنفسها والبكاء، وأخذت تلوم نفسها، لقد حذرتها «ليزا» من قبل، ولكنها لم تستمع إليها، وحدّثت نفسها بأنه ربما كان من حسن حظها أن يقطع «آدم» علاقته بها قبل أن يتطور الأمر إلى أكثر من ذلك، وربما من الأفضل أن تتوقّف عن التفكير فيه، فإن ما تشعر به نحوه لا يتعدّى الانجذاب الطبيعي بين الرجل والمرأة، ولكنها عندما ذهبت إلى سريرها في هذه الليلة انفجرت في البكاء، وكأن قلبها قد انفطر انفطارًا.

- 9 -

استيقظت «سامانتا» صباح اليوم التالي، وجهها أكثر شحوبًا، ولكنها عادت إلى طبيعتها تمامًا وهي تجلس إلى مكتبها عندما وصل «آدم» وحيّاها تحية الصباح، ونجحت «سامانتا» إلى حدّ كبير في السيطرة على نفسها وهي تردّ تحيته بابتسامة مصطنعة، وقالت «سامانتا» تحدّث نفسها، بينما كان «آدم» يخلع روبه الجامعي ويلقي به على المقعد: «لا تجزع ياسيد «آدم رويل»، فإنني لن أركع على ركبتي طلبًا لرضاك كما تتوقع من جميع النساء... لا لن يحدث هذا مني أبدًا». ثم وجّهت «سامانتا» حديثها إلى «آدم» قائلة:

– وصلتنا مجموعة كبيرة من الرسائل معظمها عادي، ولكن هذه الرسائل

الثلاثة تحتاج إلى أن تلقي عليها نظرة. وسلّمته الرسائل، ثم نظرت في دفتر المواعيد وقالت:

– ليس لديك أية مقابلات حتى الحادية عشرة، هل ترغب في رؤية السيد «ريد» للإعداد لمسابقة «الكريكيت»؟

– لا، ليس اليوم، سوف أتصفّح هذه الخطابات أولاً، ثم أذهب إلى «ليمنغتون» لمقابلة الآنسة «نورتون». قال «آدم» ذلك وهو يخرج من الغرفة متوجهًا إلى مكتبه، وقالت «سامانتا» تحدّث نفسها: هذه هي نهاية الفصل الثاني من المسرحية، وسيبدأ الآن الفصل الثالث، ومن المؤكد أن دورها فيه سيكون دورًا ثانويًا، وستكون البطولة فيه لـ «آدم» و «أستيل نورتون»، ثم تمضي الأيام لتنتهي الفترة الدراسية ويعود العم «إدوارد» ليتسلّم عمله، وبعودة «ريتشارد» من سفره سينتهي كل شيء وتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي. وأخذت «سامانتا» تباشر عملها، وعندما دخلت غرفة المدير لتقدم لـ «آدم» قهوة الصباح نظر إلى ساعة يده وهو يقول:

– يا إلهي، لقد تأخر الوقت. ودفع مقعده إلى الخلف وهو يطلب منها تأجيل كل شيء إلى ما بعد الظهر، ثم اتجه إلى الباب وهو يقول إنه سيعود حوالي الساعة الحادية عشرة. ونظرت «سامانتا» إلى الأوراق المتناثرة على المكتب وهي تحدّث نفسها قائلة: لابدّ من أن يكون شيء مهم جدًا دفع «آدم» ليترك مكتبه على هذه الصورة من الفوضى شيء مثل لقائه بالآنسة «نورتون»، وهزّت «سامانتا» كتفيها وكأن الأمر لم يعد يعنيها، وانتهت من شرب فنجان القهوة، ثم دخلت بفنجانها الفارغ إلى المطبخ، وجاوز الوقت الساعة الحادية عشرة ولم يعد «آدم»، ثم سمعت صوت سيارة تقف بالباب الأمامي، ثم صوت أقدام في البهو، ونظرت «سامانتا» وهي تتوقع أن ترى «آدم» والآنسة «نورتون»، ولكنها بدلاً من ذلك رأت رجلاً نحيلاً ملتحيًا

يقف أمام مكتبها، ولم تكن «سامانتا» على استعداد لمقابلة أي شخص في ذلك الوقت، فقالت:

– إنني آسفة. ولم تكمل «سامانتا» الجملة فقد رأت «ريتشارد» يقف أمامها، فقفزت من مقعدها وفي لحظة كانت بين ذراعي «ريتشارد»، الذي أخذ يعانقها في شوق لم تتعوّده منه من قبل. وتراجعت «سامانتا» إلى الخلف ونظرت إلى «ريتشارد» من جديد، وكأنها لا تصدّق عينيها، واندفعت الأسئلة تتسابق على لسانها وهي تنظر إليه وتقول:

– لم أعرفك، فقد أطلت لحيتك، لكن لماذا لم تخبرنا بعودتك؟ وبعد زوال المفاجأة أخذت «سامانتا» تفكّر، كيف تبلغه بمرض العم «إدوارد»، فقالت وهي تنظر إليه:

– لديّ بعض الأنباء.

– تقصدين بشأن والدي، كنت في زيارته في المستشفى، وقد اتصلت به هاتفيًا من المطار بعد وصولي. وطفق «ريتشارد» يحكي لها كيف عرف بمرض أبيه بمحض المصادفة عندما قابل أحد أولياء أمور التلاميذ في مدينة «المكسيك» وقال وهو يقطّب جبينه:

– كم كنت أود أن تخبريني بذلك من قبل يا «سامانتا»، كان يمكنني الحضور لأحمل عنك بعض المسؤولية، سمعت من والدي أنكِ تحمّلتِ الكثير. فابتسمت «سامانتا» وهي تقول:

– ليس الأمر كذلك، فقد استعان العم «إدوارد» بمدير جديد اسمه «آدم رويل»، هل تعرفه؟

– لا، إننا لم نلتق من قبل، ولكن والدي يثق به كثيرًا. ثم سألها قائلاً:

– وكيف تمضي الأمور بينك وبينه؟ وهزّت «سامانتا» كتفيها قائلة:

– إنه شخص ذكي للغاية كما أنه مدير ممتاز، والتلاميذ يحبّونه وهذا هو

المهم. وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث، وقال لها «ريتشارد إنه رتّب كل شيء يلزم لقضاء والده فترة نقاهة في «ديفون»، وأنه سيعود بعد ذلك إلى المدرسة لتقديم أية مساعدة ممكنة، وشعرت «سامانتا» بالارتياح، لأنها لن تصبح بمفردها في مواجهة «آدم» والآنسة «نورتون» معًا، ومدت «سامانتا» يدها بطريقة لا شعورية ولمست يد «ريتشارد» وهي تقول في حرارة:

– إنني سعيدة جدًا بعودتك يا «ريتشارد». فأخذ «ريتشارد» يدها بين يديه وأجاب:

– «سامانتا»، إن لديّ ما أودّ أن أخبرك به. وفي هذه اللحظة فتح باب الغرفة وظهر «آدم» بالباب وبجانبه «أستيل نورتون» التي أخذت تنظر إليهما وكأنها تنظر إلى مشهد مسلٍ، وسحبت «سامانتا» يدها من يديْ «ريتشارد» ووقفت، ثم سادت لحظة صمت قبل أن تقول «سامانتا»:

– وصل «ريتشارد» للتوّ على غير المتوقع يا سيد «رويل»، «جونز» و«بلينكنسوب» في انتظارك بالمكتب. ومدّ «آدم» يده إلى «ريتشارد» مصافحًا وهو يقول:

– إنني سعيد لرؤيتك، فقد كنت دائمًا متشوقًا إلى بذلك. واعتذر «آدم» بانشغاله، ثم التفت إلى «سامانتا» قائلاً:

– أرجوك أن تأخذي الآنسة «نورتون» لمقابلة «كريستين». ثم ابتسم معتذرًا وهو يتجه إلى خارج الغرفة، واتجهت «سامانتا» مع الآنسة «نوتون» لعمل الترتيبات اللازمة لإقامتها بالمدرسة، وبدا واضحًا منذ البداية أنها تتصرّف بطريقة مدروسة بعناية، وبدا لـ «سامانتا» وكأنها تتصرّف باستعلاء، وصحبتها «سامانتا» إلى إحدى الغرف التي أعدتها «كريستين» خصيصًا لأولياء أمور التلاميذ في حالة حدوث ظرف طارئ، ونظرت «أستيل» إلى الغرفة بدون أن تعلّق بشيء، كما أنها لم تكلّف نفسها حتى مشقّة شكر

«سامانتا» لحملها حقيبتها وهي تصعد معها، وفتحت «أستيل» الحقيبة وأخرجت حقيبة فيها أدوات التجميل، وجلست أمام المرآة لتعدّل من زينتها، ثم التفتت إلى «سامانتا» قائلة:

– «آدم» أخبرني بأنك مسؤولة عن إدارة المدرسة في أثناء فترة تغيّب السيد «بارنز» يا آنسة «غولد». قالت «أستيل» ذلك في لهجة توحي وكأنها تتحدث إلى فتاة صغيرة تسعد بالقيام بدور سيدة المنزل في أثناء تغيّب أمها، ثم استطردت تقول:

– لقد أردت أن أؤكد لك أنه لا مجال للقلق من ناحيتي، فإن لديّ خبرة طويلة بالعمل في المدارس، إلى جانب أنني كنت مسؤولة عن أحد العنابر بالمستشفى. وعلى الرغم من أن «سامانتا» لم يعجبها موقف «أستيل»، وكانت تود أن تردّ عليها بطريقة تليق بهذا الموقف، إلاّ أنها صمّمت على أن تحاول التعامل معها بطريقة طبيعية، إلى حين انتهاء المدة المتبقية من الفترة الدراسية، وهزّت «سامانتا» رأسها وهي تقول بهدوء:

– أرى ذلك، آمل أن تسعدي بفترة إقامتك القصيرة، وأرجو ألا تتردّدي في طلب مساعدتي إذا احتجت إلى أي شيء.

– بالطبع لن أتردّد في ذلك. ثم أردفت وهي تتظاهر بتنظيف ثوبها:

– ولكنني لن أضطر إلى إزعاجك فقد تعوّدت العمل دائمًا مع السيد «رويل»، وأنا أعرف تمامًا ما يريد. وتمالكت «سامانتا» أعصابها وهي تردّ عليها في هدوء:

– حسنًا، مازلت عند كلمتي، والآن يمكنني أن أقدّمك إلى مشرفة المدرسة إذا كنت على استعداد لذلك. وصحبت «سامانتا» «أستيل» إلى «كريستين»، ثم عادت تبحث عن «ريتشارد»، فإذا بها تجده قد غادر مكتبها تاركًا لها مذكرة صغيرة يقول فيها إنه لم يستطع انتظارها، وكان على موعد مهمّ

www.rewity.com

لابدّ من الوفاء به. وطلب منها إرسال بعض الأشياء اللازمة لرحلة والده إلى «ديفون» غدًا، قائلاً إنه سيعود إلى المدرسة بعد أن يقوم بتوصيل والده إلى «ديفون»، وشعرت «سامانتا» في هذه اللحظة بنوع من الإحباط، فقد كانت تعول كثيرًا على وجود «ريتشارد» في المدرسة في هذا الوقت بالذات، ووقفت لحظة في سكون إلى جانب المكتب، وقد انتابها شعور موحش بالوحدة، وفي حوالي الساعة الثانية عشرة اتجهت «سامانتا» إلى غرفة المدير واستجمعت شجاعتها وهي تطرق الباب وتدخل، ورفع «آدم» وجهه فرآها، ثم نظر من جديد إلى الأوراق الموضوعة أمامه وهو يسألها عما تريد، وأخذت «سامانتا» نفسًا عميقًا قبل أن تقول:

– أردت أن أسألك إذا كان يمكنني التوجه إلى جناحك، لإحضار بعض الضروريات اللازمة للسيد «بارنز» الذي سيغادر المستشفى قريبًا، كما أردت أن أستأذنك للذهاب إليه غدًا. فأجاب «آدم» بأنه يمكنها أن تفعل ما تريد غير أنه لم يرفع نظره إليها طوال حديثه معها، وبدا في هذه اللحظة وكأنه يريدها أن تترك الغرفة، ولكن «سامانتا» قالت:

– هل...؟ إلاّ أنها توقّفت عن إتمام سؤالها، فرفع «آدم» رأسه مستفهمًا، فقالت «سامانتا» بعد تردّد:

– هل ستحتاج إلى مساعدتي في الكتابة على آلة الطباعة هذا المساء كالمعتاد؟ وأخذ «آدم» قلمًا من درج المكتب قبل أن يردّ عليها قائلاً:

– لا أعتقد ذلك، وأنا أشكرك على مساعدتك لي في الفترة الماضية، ولكنني لم أعد أحتاج إلى ذلك والآنسة «نورتون» ممتازة في عملية الطباعة إلى جانب مواهبها الأخرى، وقد اتفقت معها على مساعدتي. نظرت «سامانتا» إليه وقد أخرستها المفاجأة للحظة، ثم اجتاحها غضب رهيب أخذ يعصف بها. كيف يتحدّث إليها بهذه اللهجة؟ وكأن ما حدث في الليلة الماضية قد

أسقط من حسابه تمامًا، ألم يهمس في أذنيها وهما في السيارة: لقد وقعت في حبك يا «سامانتا»، ووجدت فيك ضالتي المنشودة؟ ولم يكن غضبها بسبب فعلته هذه، بقدر ما كانت بسبب الطريقة التي انتهجها وهو بصدد ذلك، واندفعت «سامانتا» تقول في غضب وقد اهتزّ صوتها:

– إن «ليزا» كانت على حق فعلاً في كل ما قالته عنك، لقد حذّرتني منك قبل حضورك وحدّثتني عن الطريقة الوقحة التي تتعامل بها مع النساء، وأنا أخطأت عندما لم أعبأ بتحذيرها، وها هو التاريخ يعيد نفسه ياسيد «رويل»، أليس كذلك؟ واندفع «آدم» واقفًا ونظر إليها وهو يقول في ثورة غضب جامحة:

– إنني لا أهتم برأي أختك فيّ، أو برأيك أنتِ، والآن اتركي الغرفة قبل أن أفعل شيئًا أندم عليه، لايمكن لأحد التفوّه بمثل هذا الكلام لي دون أن يفلت من عقابي. وظلاّ لحظة متواجهين في هذا الموقف، ثم التفتت «سامانتا» واتجهت إلى الباب وأغلقته بشدة وراءها، وشعرت «سامانتا» وهي تتجه إلى غرفتها في الطابق العلوي بأن عالمها ينهار من حولها، ولكنها صمّمت، مهما حدث لها، على أن تسير الأمور على ما يرام بالنسبة إلى المدرسة، ولم تر «سامانتا» «آدم» كثيرًا في الأيام التي أعقبت هذا اللقاء العاصف، وكان واضحًا أنه يحاول تحاشي اللقاء بها، وأنه يحاول أن يضع جدارًا عاليًا بينهما، وعلى الرغم من أن «سامانتا» رحّبت بهذا الموقف بعد موقف «آدم» المشين منها، إلاّ أنها كانت تشعر في قرارة نفسها بأن هناك شيئًا يستعصى عليها فهمه، وكانت الأسئلة تتوارد على ذهنها في أوقات فراغها وهي تحاول تفسير موقف «آدم»، ولكنها لم تجد لها جوابًا، وفكّرت «سامانتا» في زيارة «ليزا» لمعرفة حقيقة ما حدث بينها وبين «آدم» منذ أربع سنوات، ولكنها تراجعت لأنه لا جدوى من ذلك، فمهما كان موقف «ليزا» منه،

فلن يكون مبررًا أبدًا لأن يقف «آدم» منها هذا الموقف، واعتقدت «سامانتا» أنه من الأفضل أن تترك الوضع كما هو، حتى يمضي كل شيء في مجراه الطبيعي بطريقة عادية، وعندما طلبتها «ليزا» في الهاتف بعد ذلك بيومين لم تذكر لها أي شيء عن «آدم»، وأبلغتها «ليزا» في خلال هذه المكالمة أنها ستسافر مع «روبرت» إلى «نيوكاسل»، وكان من حسن حظ «سامانتا» أن العمل أخذ عليها كل مأخذ بعد ذلك، وخاصة بعد المرض الذي ألمّ بالسيدة «كمبل»، وقد اضطرت «سامانتا» إلى الاستعانة بخدمات السيدة «دود» وهي أرملة ثرثارة، لمساعدة السيدة «كمبل» في عملها، وكانت لاتكاد تجد الوقت الكافي لفض المشادات الواقعة بينهما، وفي هذه الظروف الصعبة حدث شيء أسعد «سامانتا»، فقد تقرّر أن يغادر العم «إدوارد» المستشفى، وذهبت لرؤيته وهي تحمل ما قد يحتاج إليه في رحلته إلى «ديفون»، إلا أنه حدث ما أدّى إلى تأخرها، فوصلت إلى المستشفى بينما كانت السيارة التي تحمل العم «إدوارد» و «ريتشارد» بدأت في التحرك، وتوقّف «ريتشارد» وهو يراها تهرول تجاه السيارة، ونظرت «سامانتا» إلى العم «إدوارد» داخل السيارة، ثم قالت لاهثة:

– لقد أردت أن أودّعك وأتمنّى لك عودة سريعة. ورأت «سامانتا» «ريتشارد» وهو يقود السيارة يبتسم إليها، وتنبّهت إلى أنه يستخدم سيارة العم «إدوارد» وهذا يعني أنه حضر إلى المدرسة لأخذ السيارة ولم يحاول مقابلتها، وبدا لها الأمر غريبًا! إنها لم تر «ريتشارد» منذ ذلك اليوم الذي ترك لها المذكرة على مكتبها، وعلى الرغم من أنها كانت تعرف أن «ريتشارد» من النوع الهادئ الذي لا يحب التحدّث كثيرًا عن أموره الخاصة، إلاّ أنها شعرت بنوع من الاستياء لما بدا لها من عدم اهتمامه بإبلاغها عن تحركاته. قال لها «ريتشارد» مودعًا:

– إلى اللقاء يا «سامانتا»، سأحاول العودة سريعًا، ولكنني لا أستطيع الجزم بذلك في الوقت الحاضر، على أية حال «آدم رويل» معك ليساعدك، ومن المؤكد أن كل شيء سيمضي على ما يرام. وتابعت «سامانتا» السيارة وهي تبتعد بالعم «إدوارد» و «ريتشارد»، ثم اتجهت ببطء إلى حيث كانت تقف سيارتها، وبعد عودتها إلى المدرسة وجدت «كريستين» في انتظارها في مكتبها، وقد بدت عليها مظاهر القلق الشديد، ولمّا سألتها «سامانتا» عما بها، علمت منها أنها قلقة على «جيمس»، فإنه يبدو أن الآنسة «نورتون» لا تعرف كيف تتعامل معه بلباقة، وأخذت تحكي لها كيف أنها عنّفته بشدّة لتأخره في المعمل، حيث كان يشاهد إجراء إحدى التجارب بعد أن سمح له «آدم» بذلك، وهدّدت بأنها ستمنعه من الدخول إلى المعمل مرة أخرى، مما سيؤثر بصورة كبيرة في نفسيته، وقالت «كريستين»:

– يبدو أنني تسرّعت في قبول الزواج بـ «هيغ»، فإنني والوضع هكذا أشعر بالقلق الشديد تجاه «جيمس»، وربما كان من الأفضل أن أؤجل سفري إلى «إيطاليا». كان من الممكن لـ «سامانتا» في الظروف السابقة أن تسوّي هذه المسألة ببساطة متناهية، إذ إن «آدم» كان متفهمًا تمامًا لظروف «جيمس» النفسية، وكان من الممكن أن يستمع إليها وهي تحدّثه بهذا الشأن. أما الآن فقد اختلف الوضع ولا تدري ماذا سيكون موقف «آدم»، ولكنها أمسكت ذراع «كريستين» مطمئنة وهي تقول لها إنها سترعى «جيمس» بنفسها. ووقفت «كريستين» وقد لانت ملامحها قليلاً وهي تشكر «سامانتا» قائلة:

– أنا على يقين من ذلك يا «سامانتا»، فإنني أثق بك. وعندما أغلقت «كريستين» الباب وراءها حدّثت «سامانتا» نفسها قائلة: «ليت الجميع يثقون بي، وخاصة «آدم» الذي أوضح تمامًا أنه لا يثق بأية فتاة وخاصة

بي». وفي السبت الأول من شهر حزيران(يونيو)، أقيمت مباراة في المدرسة للكريكيت بين أولياء الأمور، وكانت هذه المناسبة من المناسبات المهمة للمدرسة. كان يومًا مشرقًا. بدت الحديقة نظيفة تمامًا، وملاعب الكريكيت عبارة عن مساحة كبيرة من الخضرة الجميلة تحيط بها الأشجار العالية، وتناثر في أنحاء المكان أولياء الأمور مع أبنائهم، وكان البعض يرتدي الملابس الرياضية، والبعض يجلس تحت أشعة الشمس، وأخذت «سامانتا» موقعًا لها بعيدًا عن الزحام، وسمعت صوتًا من خلفها يقول:

– إنه منظر إنجليزي تقليدي يا آنسة «غولد»، أليس كذلك؟ والتفتت «سامانتا» إلى الخلف لتجد السيد «جونز» مدرّس العلوم، وأخذا يتحدثان عن الجو والمباراة، وكان السيد «جونز» على وشك أن يتركها عندما قالت «سامانتا» فجأة:

– سيد «جونز»، أودّ أن أسأل عن أحوال «جيمس»، كنت أتحدث مع والدته بشأنه، فشعرت بأنها مهتمة جدًا بتنمية ميوله العلمية. وبدا السيد «جونز» وهو يحاول التذكّر، ثم قال:

– «جيمس»، هذا الطفل الصغير الذي يحضر إلى المعمل في بعض الأحيان بناء على أوامر السيد «رويل»، إنه يبدو شغوفًا جدًا بالكيمياء، أرى أنه من السابق لأوانه توجيه الطفل إلى ناحية علمية محددة، وخاصة أنه مازال في سن مبكرة، وليس من المستحسن أن يتخصّص في هذه السن، بل الأفضل له أن يستمر في التعليم العام. وشعرت «سامانتا» بالأسف بعد أن تركها السيد «جونز»، كان من الواضح أنها لن تجد منه مساعدة لتحقيق رغبتها في أن يستمر «جيمس» في حضور دروس الكيمياء، واتجهت «سامانتا» في بطء إلى ملاعب الكريكيت، حيث أخذت تشاهد التلاميذ وأولياء الأمور وهم يتبارون، ثم اتجهت إلى حيث اصطفت الموائد لخدمة الزائرين، وبعد

أن اطمأنت إلى أن كل شيء على ما يرام، اتجهت إلى الداخل ولكنها فوجئت بـ «آدم» يقف بالباب، فتنحّت جانبًا لتفسح له الطريق؛ لأنها دأبت في الفترة الأخيرة على تحاشي مواجهته بقدر الإمكان، وفي هذه اللحظة اندفع أحد التلاميذ الصغار ناحية «آدم»، وعرفت فيه «سامانتا» «كارترايت»، وكانت تقف بجانبه فتاة على درجة فائقة من الجمال في حوالي الرابعة والعشرين من عمرها، وسمعت «سامانتا» «كارترايت» يُحدّث «آدم» قائلاً:

– هذه عمتي، وهي تقول إنها تعرفك. كان «آدم» واقفًا وظهره إلى «سامانتا»، فلم تتمكّن من رؤية تعبيرات وجهه في هذه اللحظة ولكنها كانت تستطيع رؤية وجه الفتاة، وهي تنظر إليه بعينين لامعتين قائلة:

– هل تذكرني يا «آدم رويل»؟ لقد اشتركنا معًا في مباراة عنيفة للتنس هنا منذ زمن بعيد. وأعقب ذلك فترة من الصمت، ثم سمعت صوت «آدم» وهو يقول في سعادة واضحة:

– «جيليان»، «جيليان كارترايت»، طبعًا أذكرك تمامًا، هل تقيمين هنا مع شقيقك؟ إنني أذكر أنك كنت تقيمين في «دورسيت». ضحكت الفتاة وهي تجيب:

– أرى أنك تتمتّع بذاكرة قوية. واتصل الحديث بينهما بعد ذلك، ولكن «سامانتا» لم تكن تنصت، ولكنها فوجئت بهذا المنظر، وأخذت تحدّث نفسها: «إذًا، هذه هي «جيليان كارترايت» الفتاة التي حطّم «آدم» قلبها، ودفعها إلى محاولة الانتحار، حقًا. يا «ليزا»، لقد كانت قصة درامية عنيفة، ولكن ليس بها أي أثر من الحقيقة، وكان يجب أن أدرك هذا من قبل». وحان موعد زواج «كريستين»، وطلبت إلى «سامانتا» الذهاب معها لحضور القداس، والعودة بـ «جيمس» إلى المدرسة بعد ذلك، وكان قداسًا

بسيطًا للغاية، اقتصر على الأقارب وعدد قليل جدًا من الأصدقاء، وبدت «كريستين» جميلة في فستانها الرقيق، وقد أعجبت «سامانتا» بـ «هيغ غاريت» بمجرد رؤيتها له، وكان يبدو رجلاً هادئًا ذا طبيعة طيبة، وفي طريق العودة إلى المدرسة جلس «جيمس» إلى جانب «سامانتا» في السيارة وقد التزم الصمت تمامًا، ولم تحاول هي من ناحيتها دفعه إلى الحديث، ولاحظت كيف يحاول «جيمس» الالتصاق بها، فشعرت بالسعادة لأن «جيمس» بدا وكأنه مرتاح إلى صحبتها. كانت «سامانتا» تدرك موقف «جيمس»، وكيف أنه سيشعر بالضياع والوحدة بعد ذهاب أمه، وخاصة أنه رفض قضاء عطلة نهاية الأسبوع مع أبناء «هيغ»، وفضّل البقاء في المدرسة، وبعد أن وصلا إلى المدرسة قال «جيمس»:

– يا آنسة «غولد». وسكت لحظة، فرأته وهو يحاول التغلب على دموعه، ثم استطرد قائلاً:

– آنسة «غولد»، هل تطلبين إلى الآنسة «نورتون» السماح لي بالذهاب إلى المعمل بعد العشاء الليلة؟ فهي تمنعني من ذلك، لكن أرجو أن تسمح لي ولو مرّة واحدة. ووعدته «سامانتا» أن تفعل ذلك، وشعرت بأن موقف الآنسة «نورتون» يتّسم بالقسوة، وتوجّهت إلى غرفة المشرفة الصحية، حيث وجدت الآنسة «نورتون». كانت الغرفة قد تغيّرت معالمها تمامًا بعد حضور الآنسة «نورتون»، ولم تعد توحي بجو الأمان لأي طفل صغير قد يفد إليها. لقد أصبحت أشبه بعيادة طبية عادية، ووجدت «سامانتا» الآنسة «نورتون» تجلس خلف الطاولة، فبادرتها على الفور قائلة:

– حضرت إليك بطلب من «جيمس»، تزوّجت أمه الليلة وأنت تقدّرين شعوره في هذه اللحظة، وهو يرجو أن تسمحي له بالدخول إلى المعمل، ولو لهذه المرّة فقط. فرفعت الآنسة «نورتون» وجهها وهي تقول في برود:

– ولماذا لم يحضر بنفسه ليطلب مني ذلك؟ وامتنعت «سامانتا» عن القول لها إنه يخشاها، ولكنها ردّت عليها بطريقة دبلوماسية:

– لابدّ من أنه كان يودّ ذلك، لكن ظروفه اليوم غير عادية، هل تفهمين ما أعني؟ وتجاهلت الآنسة «نورتون» قول «سامانتا» وردّت قائلة:

– من الأفضل أن تطلبي منه الحضور إليّ. وتردّدت «سامانتا» قليلاً وهي تقول:

– لكن هل تسمحين له بالتوجه إلى المعمل؟ فنظرت إليها الآنسة «نورتون» من خلف نظارتها الداكنة وهي تقول:

– أعتقد أنني صاحبة القرار الأول والأخير. وتمالكت «سامانتا» أعصابها وخرجت من الغرفة، ووجدت «جيمس» في انتظارها قلقًا، وأبلغته أن الآنسة «نورتون» ترغب في مقابلته، وأخذت تطمئنه وهي تضع ذراعها في حنان حول كتفيه، وجلست «سامانتا» في إحدى الغرف المواجهة لغرفة المشرفة الصحية، في انتظار خروج «جيمس»، وبعد فترة سُمع صوت الباب يُفتح ثم خطوات أقدام «جيمس»، ثم صوته وهو يبكي في حرقة شديدة، فاندفعت «سامانتا» تخرج من الغرفة في اللحظة نفسها التي فتح فيها باب الغرفة الملحقة بغرفة المشرفة الصحية ليخرج منه «آدم» ووقفا وجهًا لوجه، وتلاقت نظراتهما لحظة، ثم بدا وكأن «آدم» يحاول الابتعاد، فاندفعت دون تفكير تقول:

– أرجوك يا سيد «رويل» انتظر لحظة. فالتفت «آدم» ونظر إليها وقد ارتفع حاجباه، فقالت وهي مازالت في قمة اندفاعها:

– لقد كنت هناك طوال هذا الوقت، فهل سمعت ما حدث؟

– نعم، كنت هناك. وأخذت «سامانتا» تنتفض وهي تقول له:

– وتركتها تفعل كل ذلك، تركت هذه المرأة تعامل الطفل الصغير بهذه

الطريقة. فردّ «آدم» وقد خلا وجهه من أي تعبير:

– عليه أن يتعلم كيف يواجه الأمور بنفسه.

– ولكنه مازال طفلاً صغيرًا، وقد كان يومًا عصيبًا بالنسبة إليه، ولكنه تماسك وتجلّد فيه ولم يذرف دمعة واحدة إلى أن دخل غرفة الآنسة «نورتون»، إن أقل شيء كان يمكن أن تفعله، إظهار قدر من الحنان والإنسانية. واهتزّ صوتها وهي تقول:

– أعتقد أنها تصرّفت بمنتهى القسوة، وأنت كذلك يا سيد «رويل». وبدا على «آدم» وكأنه سيفقد أعصابه، ولكنه ردّ في صوت بارد:

– أنا المسؤول هنا يا آنسة «غولد»، ولن أسمح لأحد بأن يوجّه إليّ اتهامات أو نقد أو أوامر، وأرجو أن تضعي ذلك نصب عينيك جيدًا، ولاتعتمدي على مركزك هنا في المدرسة. قال «آدم» ذلك وابتعد مسرعًا عنها، ووقفت تنظر إليه في وجوم وهو يبتعد، وقد أدركت الآن أن هذه هي النهاية، النهاية المؤلمة.

- 10 -

عادت «سامانتا» إلى مكتبها وهي تجرّ قدميها جرًا، وما إن دخلت حتى ارتمت على مقعدها وهي تشعر بإرهاق شديد وقد جفّ حلقها، ورنّ جرس الهاتف وكان المتحدث «ريتشارد»:

– أخيرًا وجدتك يا «سامانتا». جاءها صوت «ريتشارد» وهو يقول لها إنه يحاول الاتصال بها طوال اليوم، ولكنه لم يجدها، وأخبرته «سامانتا» بأنها كانت تحضر زواج «كريستين»، وشعرت في هذه اللحظة بعد أن سمعت صوت «ريتشارد» ينطق بالمودة، كأنها تريد أن تنفجر في البكاء، ولكنها تماسكت وهي تسأله عن أخباره وعن أخبار العم «إدوارد».

– إنه بخير وصحته تتقدّم سريعًا. وأضاف في صوت منفعل:

– هناك شيء أودّ إبلاغك به، شيء غير عادي قد حدث لي. وتساءلت «سامانتا»:

– هل هي أخبار طيبة؟ وظنت «سامانتا» للحظة أنه ربما يريد أن يقول لها إنه قابل فتاة وقرّر الزواج بها، ولكنه استطرد يقول إنه تلقى عرضًا لوظيفة مرموقة كمساعد للأستاذ «هايز» الذي يعمل معه لمدة ثلاث سنوات في «المكسيك»، وهنأته «سامانتا» وهي تشعر بسعادة حقيقية، فقد كانت تدرك مدى أهمية هذا العمل بالنسبة إليه. ثم قالت:

– لكن هل يعني هذا أنك ستعود إلى جنوب «أمريكا» في القريب العاجل؟

– نعم، سأعود غدًا، حقًا هذه أنانية منّي، ولكن والدي شجّعني على ذلك. وتوقّف «ريتشارد» قليلاً قبل أن يستطرد قائلاً:

– هناك شيء آخر، ولو أنني أشعر بأنه من الصعب أن أتحدّث فيه عن طريق الهاتف، إنك تعرفين شعوري نحوك، كنت أنوي أن أؤجّل الحديث في هذا الموضوع، لكن لا أدري متى أعود مرّة أخرى، أنت تعرفين ما أعني يا «سامانتا»، وأرجوك أن تحاولي التفكير في هذا الأمر إلى حين عودتي. وكانت «سامانتا» تعرف أنه يريد أن يحدّثها بشأن زواجهما، فابتسمت وهي ترد عليه قائلة:

– سأفكّر في الأمر. وأضافت «سامانتا» تحدّث نفسها: «ربما أفكّر في ذلك بعد أن أطرد «آدم رويل» من حياتي تمامًا، وعندما تزول عني هذه الرجفة التي تنتابني كلّما رأيته أو سمعت صوته». كانت «ليزا» تقول دائمًا إنها متبلدة المشاعر، وكادت هي أن تصدّق ذلك فعلاً. لكن لا يمكنها الآن أن تتجاهل حنينها الدافق إلى عودة «آدم» إليها، إلى الارتماء بين ذراعيه، إلى عناقه الطويل. وعلى الرغم من أنّ «سامانتا» كانت تشعر بأنها في حالة انهيار، وأنها تريد الانفراد بنفسها، إلاّ أنها تماسكت وصمّمت على عدم

www.rewity.com

التخاذل، ونزلت إلى غرفة الطعام حيث شاركت في طعام العشاء، وكان الجميع في شوق إلى معرفة كل التفاصيل الخاصة بزواج «كريستين»، فأخذت تقص عليهم بالتفصيل كل شيء عن الحفل، وعن موقف «جيمس» وكيف بدا وهو يحاول التماسك، وعندما صعدت «سامانتا» إلى غرفتها لم تستطع النوم، فأخذت تفكّر في «جيمس» الذي كانت تشعر بالقلق عليه، وقادها تفكيرها في «جيمس» إلى الآنسة «نورتون»، وأخذت أفكارها تتداعى لتصل بها في نهاية الأمر إلى «آدم». هجر النوم أجفان «سامانتا»، فقد راق لها أن تذهب إلى الغرفة التي يقيم فيها «جيمس» مع ثلاثة من زملائه للاطمئنان عليه، وارتدت «سامانتا» روبها واتجهت إلى غرفة «جيمس» وفتحت الباب وأطلت برأسها، ونظرت إلى سريره في ركن الحجرة، ولكن لرعبها الشديد وجدته خاليًا، وهرولت «سامانتا» تبحث عن «جيمس» في الأماكن التي يُحتمل وجوده بها، ولمّا لم تجده وقفت في حيرة وهي لاتدري كيف تتصرف، وفجأة خطر لها أن تذهب إلى المعمل لتبحث عنه، وبالفعل عندما وصلت إلى هناك لمحت بصيصًا من الضوء ينبعث من الباب الذي لم يكن مغلقًا جيدًا، ودفعته وهي تقول برفق:

– «جيمس»، أنا الآنسة «غولد». وفي هذه اللحظة سمعت صرخة طفل، ورأت الضوء ينبعث من ناحية الطاولة الموجودة في المعمل ليضيء المكان، فإذا بها ترى «جيمس» يقف مذعورًا في ركن الغرفة محاولاً الابتعاد عن النيران التي بدأت تشتعل، وتصرّفت «سامانتا» بسرعة فنزعت عنه رداءه الصوفي، وحاولت أن تخمد به النيران التي أخذت تمتد، وبذلت جهودًا مستميتة في محاولة احتواء الموقف من غير أن تلجأ إلى طلب المساعدة، وبعد جهد كبير تمكّنت من السيطرة على النيران، والتفتت إلى «جيمس»، وقد وقف يرتعد من الرعب، ولمّا لم تجد به أية إصابات، حملته بين ذراعيها وأجلسته فوق مقعد مرتفع، وهي تحضن رأسه بين يديها، وفي

هذه اللحظة دخل «آدم» إلى الغرفة وألقى نظرة سريعة عليها، ورأى آثار الحريق والمياه على الأرض، فأدرك على الفور ما حدث، وشعرت «سامانتا» فجأة بأن قدميها لا تقويان على حملها، فألقت بنفسها إلى جوار «جيمس» في شبه إغماء، ولكنها شعرت بـ «آدم» وهو يحاول رفع يديها لمعرفة ما إذا كانت قد أصيبت، وبدأت تعود إلى حالتها الطبيعية، وعندما نظرت إلى أعلى رأت الآنسة «نورتون» تقف إلى جانب «آدم»، وهي تحاول حثّ «جيمس» على النظر إليها، وسمعتها تقول لـ «آدم» إنه لابد من نقله إلى غرفتها للكشف عليه، وأجفل «جيمس» لدى سماعه ذلك، وسمعت صوته يصرخ بطريقة هستيرية ويرفض أن يذهب معها، وحاولت الآنسة «نورتون» إنزاله من فوق المقعد، ولكنه دفعها بعيدًا عنه وهو يلتصق بـ «سامانتا» ويدفن رأسه في صدرها، وبدأ «آدم» يشعر بأن «جيمس» في حالة لا تسمح له بإطاعة أية أوامر، فالتفت إلى «سامانتا» وطلب منها أن تأخذه معها للعناية به لبعض الوقت، إلى أن يتمكّن من ترتيب الأشياء في المعمل، وصعدت «سامانتا» إلى غرفتها وبصحبتها «جيمس» حيث أخذت تغسل وجهه ويديه، ووضعته على مقعد مريح بجوار المدفأة، وأعطته علبة من الحلوى، وبعد فترة قصيرة قال «جيمس»:

– كنت أريد فقط أن أرى التجربة التي كانت تجرى في المعمل الليلة، وراق لي أن أحاول أن أفعل شيئًا، ثم اشتعلت النيران. وانفجر «جيمس» في البكاء وهو يقول:

– أرجوك يا آنسة «غولد»، أريد أن أعود إلى منزلي الآن. وعاتبته «سامانتا» لدخوله المعمل وحده دون إذن من الآنسة «نورتون»، ولكنه قال لها إن الآنسة «نورتون» طلبت منه ألاّ يدخل المعمل بعد العشاء، فانتظر إلى ما بعد موعد النوم وذهب، ونظر إليها «جيمس» في قلق فحاولت «سامانتا» أن تطمئنه، ثم تركته في غرفتها وهبطت إلى المعمل مرّة أخرى فوجدته

خاليًا، وكانت آثار الحريق تبدو واضحة على الطاولة، وعاد «آدم» إلى الغرفة في هذه اللحظة، وهو يقول لها إنه اضطر إلى إبعاد بعض الأدوات إلى الخارج، ولم يكن باستطاعتها أن تتبين حقيقة موقف «آدم» في ذلك الوقت، وحاولت شرح الأسباب التي دفعت «جيمس» إلى القيام بهذا العمل، وكيف أن إغراء المعمل كان أقوى من أن يستطيع أن يقاومه، فرّد عليها قائلاً:

– الآنسة «نورتون» تعتقد أنه فعل ذلك تحديًا لها. فردّت «سامانتا» بحزم:

– الآنسة «نورتون» مخطئة. ثم سادت فترة صمت قالت «سامانتا» بعدها:

– إن «جيمس» يريد العودة إلى منزله الآن وفي هذه اللحظة.

– مستحيل، لا يمكن أن يتسلّل بهذه السهولة دون أن يتحمل نتيجة عمله. فقالت «سامانتا»:

– إنه في حالة تعسة وهو يحتاج إلى الحب والحنان، وهو ما لا يتوفر من جميع الموجودين هنا. ثم استطردت «سامانتا» قائلة:

– كما أن هناك جانبًا آخر لهذه المشكلة، فلو أن «جيمس» ظلّ في المدرسة، فإن التلاميذ سيعرفون ما حدث، وبالتالي سيعرف الأهالي ذلك، ويعتقدون أنّ هناك نوعًا من التهاون بالنسبة إلى احتياطات الأمن بالمدرسة، مما سيكون له أسوأ الأثر على سمعتها، وأضافت «سامانتا» أنّه يمكنها اختلاق أية قصة لتبرير ما حدث في المعمل، ولكن «آدم» ردّ قائلاً:

– وماذا لو رفضت هذا الرأي؟ فرفعت «سامانتا» وجهها إلى أعلى في تحدٍّ وهي تقول:

– سآخذ «جيمس» إلى منزله الجديد، وأتركه هناك مع جدّته الجديدة، فهي امرأة عطوف، وفي رأيي أنها ستعامله أفضل معاملة، وأرى أن ما

أفعله في مصلحة «جيمس» والمدرسة على حدٍّ سواء، وسأذهب الآن فورًا لأصطحبه إلى منزله، ولا يمكن أن تمنعني يا سيد «رويل». قالت «سامانتا» ذلك واندفعت خارج المعمل. وصلت «سامانتا» إلى منزل السيدة «غاريت» حماة «كريستين»، وأرادت «سامانتا» أن تعود إلى المدرسة بعد أن اطمأنت إلى نوم «جيمس»، لكن السيدة «غاريت» أصرّت على أن تبقى معها؛ لتناول فنجان القهوة وبعض الفطائر وهي تقول:

– إنك تبدين متعبة جدًا وأخشى ألاّ يمكنك قيادة السيارة هذه المسافة الطويلة. وكانت «سامانتا» قد بدأت تشعر بالتعب، بعد أن زالت خطورة الموقف، ولكنّها كانت مصمّمة على العودة لتواجه «آدم»، لأنها كانت تعرف أنه لابد من أن يكون في انتظارها وهو غاضب لتحدّيها له، وأرادت أن تصفّي حسابها معه فورًا، ورفضت كل عروض السيدة «غاريت» للمبيت عندها وودّعتها، واتجهت إلى السيارة وجلست على مقعدها، وفجأة وهي تعود إلى الخلف رأت شبحًا ضخمًا يظهر بجانبها ووجلت «سامانتا»، ولكنّها بعد لحظة أدركت أنه «آدم»، وقالت «سامانتا» وهي تنظر إليه من نافذة السيارة بعد أن تمالكت أعصابها:

– ماذا تفعل هنا؟ قال لها في لهجة مقتضبة:

– لقد جئت لأعود بك إلى المدرسة في سيارتي.

– لكن كيف عرفت الطريق؟

– لقد تبعتك.

– كنت تنتظر طوال هذا الوقت في الخارج وأنت تجلس في السيارة.

– قضيت الوقت وأنا أتمشّى في المنطقة وأفكّر. كانت «سامانتا» قد أمضت ما يزيد على الساعتين مع السيدة «غاريت»، ونزلت من السيارة ورأتها وهي تتّجه ناحيتهما، فقدّم إليها «آدم» نفسه وهو يقول لها إنه جاء للعودة بالآنسة «غولد»، وطلب منها أن يترك سيارة «سامانتا» أمام المنزل،

www.rewity.com

وأعربت السيدة «غاريت» عن سعادتها لحضور «آدم» وهي تقول:

– حسنًا فعلت، فإنها متعبة جدًا بعد كل ما حدث، ومن الأفضل أن تعود بها سريعًا إلى المدرسة؛ لتنال قسطًا من النوم. ووجدت «سامانتا» نفسها تركب سيارة «آدم» وهي تتّجه بهما في طريق العودة إلى المدرسة، ولزم «آدم» الصمت وأخذت هي تنظر من نافذة السيارة وهي تشعر بمنتهى التعاسة، وشيئًا فشيئًا بدأت الصورة تتلاشى أمام عينيها، فاستندت برأسها إلى المقعد، ولم تنتبه بعد ذلك إلاّ على صوت «آدم» وهو يقول لها إنهما وصلا إلى المدرسة، وهمهمت «سامانتا»:

– لابدّ من أنني استغرقت في النوم. فردّ «آدم» في اقتضاب بالإيجاب، ثم فتح باب المدرسة الأمامي وسألها وهما يعبران إلى البهو، إذا كانت تريد طعامًا أو شرابًا، لكن تعبيرات وجهه لم تشجّعها على طلب أي شيء، فسارعت بالقول بأن السيدة «غاريت» قدّمت إليها القهوة. فقال «آدم»:

– حسنًا، اذهبي الآن وحاولي النوم لتنسي أحداث اليوم. لكن «سامانتا» كانت تريد أن تعرف القرار الذي اتخذه «آدم» بعد ساعتين من التفكير، وهو في انتظارها خارج منزل السيدة «غاريت»، لكن ما إن بدأت في توجيه سؤالها حتى بادرها بنفاد صبر:

– لقد قلت اذهبي إلى سريرك.

– حسنًا، سأذهب. قالت «سامانتا» ذلك وهي تجرّ قدميها لتصعد السلم إلى غرفتها، حيث ارتمت فوق سريرها وراحت في نوم عميق، وعندما استيقظت في الصباح كانت أشعة الشمس تملأ الغرفة، ورأت السيدة «كمبل» تقف إلى جانب السرير، وقد أحضرت طعام الإفطار وقالت:

– ها هو إفطارك يا آنسة «غولد»، فقد علمت من السيد «رويل» أنك قضيت ليلة فظيعة بعد الحادث الذي تعرّضت له في المعمل أمس، عندما انقلب أحد المواقد على الطاولة. جلست «سامانتا» في سريرها وهي تدفع شعرها إلى الخلف، وشعرت بالارتياح، فقد أدركت أن «آدم» وافق على اقتراحها باختلاق قصته؛ لتبرير ما حدث في المعمل أمس، وبينما هي تتناول

إفطارها أخذت «سامانتا» تفكّر في موقف «آدم»، إنها هي التي أرغمته على عمل شيء يناقض طبيعته، ولابد من أنه تجشم في سبيل ذلك عناءً نفسيًا كبيرًا، حتى استطاع أن يروّض نفسه على الموافقة باختلاق هذه القصة، لقد أغضبته إلى الحد الذي لا يمكن معه أن يغفر لها، وشعرت «سامانتا» بأن أية علاقة بينهما بعد ذلك، ستكون ضربًا من المحال، ولكنّها قرّرت بذل أية محاولة لإقامة ما يشبه الهدنة بينهما حتى يحين موعد مغادرته للمدرسة، وبعد أن أتمّت «سامانتا» إفطارها، غادرت الغرفة واتجهت إلى مكتبها، وما إن فتحت الباب حتى وجدت «آدم» يقف إلى جوار النافذة، وشعرت بأنه كان في انتظارها ليحاسبها على موقفها منه ليلة أمس، لكن «آدم» بادرها بسؤاله:

– هل تشعرين بتحسن الآن؟ ولمّا أجابته بالإيجاب قال:

– حسنًا، الآن أريد منك أن تقومي بمهمّة لي، أن تحضري لي أحد الكتب من الكوخ، كنت أود أن أذهب بنفسي، ولكنني مشغول للغاية، يمكنك الذهاب بالحافلة إلى منزل السيدة «غاريت»، حيث تأخذين سيارتك لتذهبي بها إلى هناك، وردّت «سامانتا» بالموافقة وهي تشعر بالراحة، فقد كانت تتوقع أن يثور «آدم» في وجهها وهو يوجّه إليها كلماته الوقحة، ولكنه بدلاً من ذلك بدا وكأنه يحاول تجاهل هذا الموضوع تمامًا، وأخذ «آدم» يوجّهها إلى مكان الكتاب الذي يريده، لكن «سامانتا» كانت تريد إثارة الموضوع فقالت:

– شكرًا لحضورك إلى منزل السيدة «غاريت» للعودة بي أمس، ولاختلاقك قصة لتبرير ما حدث في المعمل. ونظر «آدم» إليها قليلاً، ثم قال وهو يشيح بوجهه لينظر من النافذة:

– لم تتركي لي مجالاً للاختيار، أليس كذلك؟ وقبل أن تفكّر «سامانتا» في الإجابة، فتح الباب ودخلت «أستيل نورتون»، واتّجهت بنظرها مباشرة إلى حيث يقف «آدم» وهي تقول:

– هل تسمح لي يا سيدي بدقيقة من وقتك، فإنني أريد استشارتك في

مسألة مهمة؟ وتبعها «آدم» إلى خارج الغرفة من غير أن يحاول النظر إلى «سامانتا»، وتوجّهت «سامانتا» بعد ذلك إلى منزل السيدة «غاريت» التي سعدت برؤيتها، وأخذت تحدّثها عن «جيمس» وحاولت أن تقنعها بالبقاء لتناول الغداء معها، لكن «سامانتا» أخبرتها بأنها حضرت لتأخذ السيارة للذهاب إلى «ستو» كان الجو صحوًا وقد بدت الأشجار أشدّ خضرة، و«سامانتا» تقود سيارتها في طريقها إلى كوخ «آدم»، ولكنها كانت تشعر بالكآبة، حتى أنها لم تشعر بهذا الجمال الذي يحيط بها، ولم تتوقّف في طريقها لتناول الغداء، بل قادت السيارة رأسًا إلى منطقة التلال، حيث يوجد الكوخ. كانت «سامانتا» تريد أن تنهي مهمتها بسرعة، ولم ترغب في التجوّل في المكان، فقد كان مليئًا بالذكريات، ولم تستطع منع نفسها وهي في طريقها إلى الكوخ من استرجاع كل ما حدث بينها وبين «آدم»، وكيف بدأت الأمور تسير بينهما بطريقة حسنة، وتذكّرت ذلك اليوم الذي حضرت فيه مع «آدم» إلى هذا المكان، ويوم ذهبت معه إلى المسرح، ثم كيف توترت العلاقات بينهما حتى وصلت إلى الحدّ الذي وصلت إليه أمس، وتوقّفت «سامانتا» بالسيارة لحظة وأسندت رأسها إلى عجلة القيادة وانفجرت في البكاء، ثم اعتدلت في جلستها بعد أن هدأت قليلاً، واستأنفت السير لتصل إلى الكوخ، وعندما وصلت نزلت من السيارة، وشعرت بالحزن يعتصر قلبها وهي تتّجه إلى باب الدخول، وما إن وصلت إلى الكوخ حتى فتح الباب وظهر «آدم». اهتزّت «سامانتا» بعنف واهتز العالم كله من حولها، لابد من أنها كانت تحلم قالت «سامانتا» تحدّث نفسها وهي لا تكاد تقوى على الوقوف، ولكنها تنبّهت إلى أنّها ليست في حلم، فقد سمعت صوت «آدم» وهو يقول مطمئنًا:

– لا تخافي يا «سامانتا»، فأنا لست شبحًا. واستطرد وهو ينظر إليها ومازال بمكانه:

– لقد انتظرتك طويلاً، وخشيت ألاّ تحضري على الإطلاق، فروّعت من هذا الهاجس خاصة بعدما كان منّي معك. لم تنطق «سامانتا» بكلمة فقد

تسمّرت في مكانها وهي تنظر إلى عيني «آدم»، ثم شعرت فجأة بالدماء الدافئة وهي تندفع إليها، إلى كل جزء من جسمها لتعيد إليه الحياة من جديد، وسمعت «آدم» يقول في صوت خافت:

– لقد حاولت مقاومتك كثيرًا يا «سامانتا»، كنت أعتقد أنه لن يمكنني العثور على الفتاة التي يمكن أن تغيّر موقفي من النساء، ولكنني عثرت عليك يا «سامانتا». ولم تسمع «سامانتا» شيئًا بعد ذلك، ولم تدر كيف اندفعت لترتمي بين ذراعيّ «آدم»، كل ما تعرفه الآن أنها بين ذراعيه ملتصقة به تسمع دقات قلبه، وظلاّ متعانقين لحظات، ثم ابتعدت عنه قليلاً ونظرت إلى وجهه، وكأنها تريد التأكد أنها ليست في حلم، ثم اندفعت من جديد لترتمي بين ذراعيه، وضمّها «آدم» إليه بقوّة، ثم قال:

– كان الانتظار قاسيًا يا «سامانتا»، واعتقدت أنني فقدتك، وأنك لابدّ من أن تكرهينني. وهمست «سامانتا» بأنها لا تكاد تفهم شيئًا مما حدث، فقال «آدم» وهو ينظر إلى عينيها:

– كل هذا لا يهمّ الآن، المهمّ هو أنني أحبك... وأشعر بأنك تبادلينني شعوري، أليس كذلك يا «سامانتا»؟ فنظرت إليه وهي تبتسم وقالت:

– مازلت مغرورًا، أليس كذلك؟ ومازلت تعتقد أنه لا يمكن لأية فتاة أن تقاوم سحرك القتّال. فأخذ «آدم» وجهها بين يديه وطبع على عينيها قبلة طويلة، وقال مبتسمًا:

– هل يمكنك مقاومتي؟ هذا ما أودّ معرفته! وعندما اعترفت له بأنها لاتعتقد ذلك، ضحك بصوت عال، ثم سألها:

– هل تتزوجينني يا «سامانتا»؟ لا أعتقد أنك مرتبطة حقًا بـ «ريتشارد». فابتسمت وهي تقول:

– إن «ريتشارد» صديق عزيز، ولكنه يهتمّ بعمله في «المكسيك» أكثر من اهتمامه بالتفكير في الزواج الآن. وتنهد في ارتياح وهو يقول:

– والآن، ما رأيك في أن نذهب إلى الكوخ، لإحضار بعض الطعام للغداء، ثم نصعد إلى أعلى التل؟

– وماذا عن المدرسة؟

– إن السيد «جونز» يتولّى الإشراف الآن، كما أن معه الآنسة «نورتون» وهي ترعى المدرسة بعين يقظة. وأمسكت «سامانتا» يده وهي تقول:

– كنت أعتقد أنك تنوي الزواج بها. فهتف قائلاً:

– لا، لن يحدث هذا أبدًا. وبعد تناول طعام الغداء جلست «سامانتا» ترقب «آدم»، وقد استلقى على ظهره على الحشائش وسألته:

– أدركت أنك... وقاطعها «آدم»:

– أدركت أنني أحبك... منذ أول لحظة رأيتك فيها، وشعرت بالخطر، فقد أثرتِ في نفسي مشاعر، لم تقو أية فتاة أخرى على إثارتها.

– ولكنك كنت...

– وقحًا... وفظيعًا... ألا تقصدين ذلك؟

– ليس هذا ما أقصده تمامًا، ولكنك كنت فظًا. ثم سألته:

– لماذا يا «آدم»؟ ألا تريد أن توضّح لي السبب؟ ونهض «آدم» من رقدته واعتدل في جلسته، وقد اكتسى وجهه تعبيرًا جادًا وهو يقول:

– لقد تعلّمت منذ صغري إلاّ أثق بالنساء. واستطرد يقول:

– كان أبي رجلاً كريمًا وأحبه إلى درجة كبيرة، وكان هو يحب والدتي ويثق بها ويحاول إسعادها بأية طريقة، ولكنها كانت قاسية، وكنت أراها كل يوم وهي تحطم كل هذه الثقة، وكل هذا الحب، كانت أنانية، تلجأ إلى الغش والكذب والخداع بأية وسيلة لتحقيق ما تريد، لم تكن تهتمّ بنا أنا وأخي الذي يصغرني، وعندما تركتنا في النهاية وذهبت، كان أبي قد تحوّل إلى حطام، ولم يتحمّل الصدمة فمات بعد ذلك بعامين. وأعقب بعد ذلك فترة من الصمت، قطعتها «سامانتا» وهي تقول:

– آسفة يا «آدم»، وأعتقد أنني بدأت أفهم، لكن... ثم مالت قليلاً إلى الأمام ولمست يده وهي تضيف:

– لكن أمك وحدها لم تكن السبب في ذلك، كان هناك سبب آخر، أليس كذلك؟ فنظر «آدم» بعيدًا، وبدا لبعض الوقت وكأنه لم يعد مهتمًا، ثم

سألها:

– هل من الضروري التحدث في هذا الموضوع؟

– نعم أرجوك، فقد حدث الكثير وأريد أن أتحقق من بعض المواقف.

– حسنًا، سأقول لك حقيقة ما حدث. واستطرد يقول:

– كان لي أخ كما أخبرتك من قبل، كان يدعى «جيمي» ويصغرني بست سنوات، وكنا ملتصقين ببعضنا إلى درجة كبيرة، وربما كان موقف والدتي منّا قد ساعد على ذلك، كان أخي رائعًا وذكيًا، وبعد وفاة والدي انفصلت للإقامة في «كمبردج» وبقي هو في منزلنا، ولكنني كنت أراه كثيرًا، وفي أثناء دراسته الجامعية التقى بفتاة في إحدى مباريات التنس التي كنت أشترك أنا فيها أيضًا، كانت فتاة جميلة ومليئة بالحيوية وكل ما يهمها- على ما يبدو - قضاء وقت ممتع، أما هو فقد تعلّق بها إلى درجة كبيرة، ولم تكن له خبرة بالفتيات، كانت هي فتاته الأولى والوحيدة والأخيرة. وهمست «سامانتا» تستحثّه على المضي وهي تدرك تمامًا أن هذه الفتاة هي «ليزا»، إنها القصة نفسها التي سمعتها من قبل،لكن مع بعض التزييف في الحقائق من جانب «ليزا»، فاستطرد «آدم» يتحدّث بسرعة وكأنه يريد الانتهاء من الحديث:

– حسنًا، لقد وعدته الفتاة بالزواج، ولكنّها تخلّت عنه في قسوة، بعد أن ظهر في حياتها رجل غنيّ وشعرتُ بأن الصدمة قد حطّمت «جيمي»، وبعد ذلك ببضعة أيام ذهب مع صديقه إلى «اسكتلندا» ليتسلّق الجبال، ثم عرفت أنه سقط من ارتفاع ستمائة متر ليلقى حتفه على الفور. وهمست «سامانتا» بعد أن زال عنها تأثير هذه القصة:

– لكن، هل تعتقد أنه تعمّد قتل نفسه؟

– لا يمكن الجزم بذلك، فقد كان «جيمي» شابًا رياضيًا قويًا بارعًا في تسلّق الجبال، وكان من الغريب حقًا أن يتسلّق إلى مثل هذا الارتفاع دون أن يستخدم حزام الأمان، على أية حال، قيّدت الحادثة قضاء وقدرًا.

– ولكنك لا تعتقد ذلك؟ أجاب «آدم» وهو ينظر إلى بعيد:

– لقد رأيت «جيمي» قبل توجهه إلى «اسكتلندا»، كان إنسانًا محطمًا ليست له رغبة في الحياة. وأعقب ذلك صمت طويل، وبدت «سامانتا» وقد فهمت عنه ما لم تفهمه من قبل. لقد وقع في الخطر لا مرّة واحدة بل مرتين، وكان ذلك بسبب امرأة.

– ثم ذهبت لمقابلة الفتاة وكان لقاءً عاصفًا، وقلت لها رأيك فيها بصراحة، ونفضت يدك منها إلى الأبد. والتفت «آدم» إليها وقد فوجئ بقولها هذا، وسألها:

– كيف عرفتِ ذلك؟

– كانت هذه الفتاة هي «ليزا»، أليس كذلك؟ إنها لم تنسك ولم تسامحك قط.

– بلى، كانت «ليزا». وانتهى الكلام عند هذا الحد، وقد اتضح الموقف تمامًا أمام «سامانتا» التي اقتربت من «آدم»، فوضع ذراعه حول كتفيها، ولفهما الصمت وهما ينظران إلى التلال من حولهما، وغرقا في السكون الذي يسود المكان، وانحنت «سامانتا» في جلستها قليلاً لتلتقط إحدى الزهور البرية الرقيقة، ومدّت بها يدها لـ «آدم» وهي تردّد أحد أبيات الشعر:

رأيت زهورًا تنمو في بقاع صخرية... ثم نظرت إلى «آدم» وهي تقول:

– إنني أثق بهذا القول أيضًا. ونظرت إلى عينيه متسائلة:

– وأنت يا «آدم»، هل يمكنك ذلك؟ ونظر إلى عينيها طويلاً وانحنى عليها قبل أن يقول:

– ولكنني أثق بك أنتِ وإلى الأبد. وتنهدت «سامانتا» في ارتياح وهي مسترخية بين ذراعي «آدم»، وهمست قائلة:

– هذا كل ما أردت أن أعرفه.

تمت بعون الله